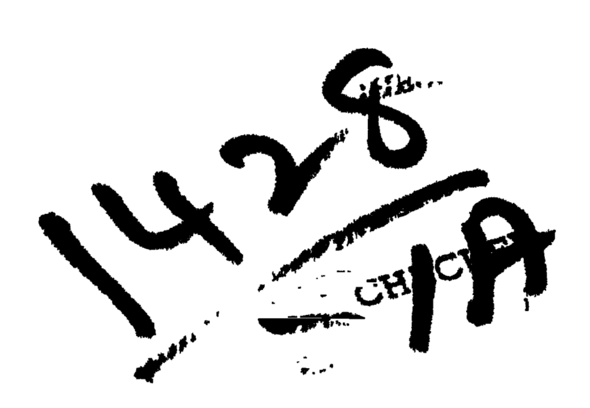




بقلم

الاستاذ بطرس جيار مدرس أولاد القيصر

ونقله الى الروسية كاتب روسي

« لم يذكر اسمه خوفاً على ذويه »

ونقله الى العربية عن الروسية



LE TRAGIQUE DESTIN DE NICOLAS 11 ET DE SA FAMILLE

PAR

PIERRE GILLIARD

Traduit par

SÉLIM COBÉIN

مصر في ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٢



﴿القيصر نقولا الثاني﴾



﴿ القيصرة اليكساندرا ثيودورفنا ﴾

تمهيد

لمعرب الكتاب وناشره

بولشفيك كلمة روسية معناها « المتغالي في التطرف » وأي تطرف في المبادئ السياسية والادبية والروحية أشد من تطرف البلشفيين الذين قضوا على أسرة رومانوف ومحوا ذكر عترة بطرس الاكبر الذي وضع أساس روسيا الجديدة وألف منها امبراطورية شاسعة الاطراف مترامية الاكناف بعد أن كانت قبائل همجية ونفخ فيها روح المدنية ومهد لها السبيل للتدرّج في مضمار الرقيّ والفلاح وحذا خلفاؤه حذوه ففتحوا الفتوحات ودوّخوا البلاد في أوروبا وآسيا وأطلقوا الاهلها حرية الاديان وحرية التعليم والتجارة والانتقال من مكان الى آخر . وتاريخ قياصرة الروس مملوء بالاعمال المجيدة الخالدة والذين يؤاخذونهم على عدم منح بلادهم الحكم الدستوري يرتكبون خطأً لعدم وقوفهم على أحوال شعوب روسيا ودرجة رقيهم فقد كان معظم الشعب في غاية السذاجة المتناهية لا يفقه معنى الاحكام ولا روح المدنية ولو منحوه الحرية لانقلبت الى ضدها وحلّت في البلاد فوضى شلّت أعصابها وقضت على كيانها . والتطور في الامم لا يأتي عفواً بل تدريجاً سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ومن درس التاريخ يعلم انه عند ما كانت روسيا غارقة في بحور الهمجية والتوحش كانت فرنسا وانكلترا وغيرهما من الممالك في أوج مجدها وذروة رقيها ومدنيتها

ثم أي تطرف أشد مما اقترفه هؤلاء البلشفيون في روسيا باسم الحرية والاخاء والمساواة — هذه العبارة التي اتخذوها شعاراً لهم ورسموها وسط علمهم الاسود بأحرف بارزة ناصعة البياض — الا انها تبرأ منهم وتسخط عليهم لانهم أساؤا استعمالها ؟

أي تطرف أشد من أنهم قفلوا الكنائس ونهبوا آنيتها المقدسة ونفائسها

وذخائرها حتى دعا الامر رئيس أساقفة انكلترا ورجال الدين فيها ان يحتجوا عليهم بشدة وفعلوا مثل ذلك بمساجد المسلمين

أي تطرف أشد من انهم سفكوا دماء ألوف من رجال الدين ومنعوهم من القيام بواجباتهم الدينيه وبذلك نشروا الالحاد والكفر في البلاد ؟ وقد علمنا الاستقراء ودلتنا حوادث من سلفنا من الامم والجماعات على ان الدين كان دائماً هو الرابطة القوية التي تربط حياة هذه الجماعات بأواصر المدنية والارتقاء وعلى انه الضابط الوحيد الذي كثيراً مايكبح جماح الشهوات والعواطف ولولاه في ذلك لخرجت عن حدها وأفسدت في الارض ومحت سلطان العقل والفكر

اي تطرف أشـد من طردهم الاشراف والاغنياء وكبار التجار من منازلهم وأسكانهم فيها العيارين والآفاقيين والمسترزقة

أي تطرف أشد من اباحة الاعراض ونشر الفساد ومنع الزواج وتحليل الطلاق حتى وقعت البلاد كلها في بؤرة دعارة وخنا من أقصاها الى أدناها ؟

أي تطرف أشد من حرق جميع المكاتب العامة والخاصـة في روسيا وكانت تحتوي على مئات الالوف من مجلدات الـكتب القيمة على مختلف العلوم وقفل مئات الجرائد والمجلات الراقيـة وضغطهم على الافكار وتحطيمهم أقـلام الـكتاب وكمهم الافواه ؟

أي تطرف أشد من اهراق دماء ألوف من الرجال والنساء والاولاد والشيوخ والعجزة الذين مازال دمهم صارخاً طالباً من الله العادل الانتقام ؟

أي تطرف أشـد من تشتيت مئات وألوف من العائلات الروسيه الشـديدة التعلق بوطنها الى جميع أنحاء العالم : الى أميركا وتونس وبلغاريا وتركيا وقبرص والجزائر ومصر . ومنهم القواد والامراء والعلماء من رجال ونساء وأطفال وأكثرهم يعانون أشد صنوف الحاجـة والفاقة وبعـد ما كانوا يرفلون بحلل الخز والديباج والحرير أصبحوا مرتدين أسمالا بالية يفترشون الحصير

أي تطرف أشـد من نشر الفوضى في جميع أنحاء البلاد وقيادة الناس الى

البطالة والكسل والانقطاع عن العمل ؟

وما ذا كانت نتيجة ذلك ؟ ؟ تلك النتيجة يراها و يسمعها كل انسان في هـذا الزمان ؟ أصبحت روسيا التي كانت في عهد القياصرة تموّن أوروبا وآسيا بالقمح والحبوب والخشب والبترول وجميع صنوف المواد الغذائيه قاعاً صفصفاً ينعق بوم الخراب والدمار في جميع أنحائها — أصبح الناس يموتون جماعات جماعات من الجوع — أصبحت الامراض تفتك بأهلها فتكا ذريعاً . الامر الذي دعا ذوي القلوب الشفوقة والعطف والحنان الى أن يرفعوا أصواتهم مستنجدين بأهل البر والاحسان لينقذوا اخوانهم في الانسانية من مخالب الجوع والفاقة . وقامت جمعيات الاطفال في أوروبا وأميركا ومصر تجمع التبرعات لاطعام مئات الالوف من الاطفال في روسيا الذين دلت الاحصاءات على انه يموت منهم كل يوم مئات المئات . تطرقت الحاجة الى جميع طبقات الامة حتى جاء دور اليهود وسمعنا على صفحات الصحف استنجاد روتشلد أغنى أغنياء الدنيا بيهود العالم ولا سيما يهود مصر ليجودوا بما يدفع الموت عن اخوانهم في روسيا

يجرى كل هذا ولينين السفاح يتمتع بلذاته الى جانب حظيته الفاتنة غور وخوفا التي أطلق عليها اسم خاتمة النبيين والنبيات والتي تنبأت له بأن الدنيا كلها ستصاب بداء البلشفية وتؤلف مملكة واحدة يرأسها لينين الخائن السفاح

عند مادالت دولة آل رومانوف ومثّل بها البلشفيون تمثيلا فظيعاً أخذوا يبررون عملهم باشاعة الاشاعات الباطلة عن القيصرة وكريماتها واشتروا أقلام مئات من الكتاب الساقطين السفلة ليضعوا الكتب وينشروا المقالات المملوءة بالمطاعن والمثالب والمخازي وفي مقدمة هؤلاء الكاتب الانكليزى واسم لوكو الذى ألف كتاب رسبوتين وملأه بالمخازي ونسب فيه الى القيصرة وكريماتها وكل نساء جميع الطبقات في روسيا في بطرسبرج وموسكو وكييف وكازان وايكاتيرنبورج وغيرها وغيرها أمورا لاترتكبها أحط النساء أخلاقاً وأبعدهن عن محجة الشرف ويا ليت هذا الانكليزي وقف عند هذا الحد بل انه رمى الديانة الارثوذكسية بأشنع التهم

والاباطيل وعبر عنها في كتابه (بالشيمة البرافوسلافنية) و برافوسلافنية كلمةروسية معناها أرثوذكسية . هذا الكاتب المفتون المأجور استقى مواد كتابه من البلشفيين وفي كل صفحة من صفحات كتابه يقول لدي كتابات رسمية وأوراق رسمية سأنشرها فيما بعد ومن الغريب العجيب انه لم ينشر ولا كلمة رسمية تؤيد كلامه .

واني رأيت من باب تقرير الحقائق أن ألقي نظرة على ذلك الكتاب الساقط فأقول :

ظهر كتاب رسبوتين باللغتين الانجليزية والفرنسية ثم نقل الى العربية فاضطربت لظهوره أعصاب الشرقيين عموماً والمسيحيين خصوصاً واهتزت أوتار الفضيلة جزعاً وتقطعت نياط القلوب فزعاً . فقد وصم ملفقه الكويتب الانكليزي وليم لوكو القيصرة وكريماتها ونساء وزراء روسيا وأشرافها وأسرها الكريمة بوصمة عار لو صحت لقضت على الفضيلة والآداب والشرف القضاء المبرم .صوّر مؤلف الكتاب أولئك النسوة الطاهرات بصور يتفتت من هولها الجماد و ينفطر الفؤاد . وتتمزق الاكباد . صور رسبوتين بصورة غول شهوات وموبقات لا عمل له ليلاونهاراً صباحاً ومساء الا ارتكاب الخنا والانغماس في بؤرة الفساد ولو أعطي رسبوتين قوة السماء والارض او لو كانت قوته تعادل قوة مائة حصان لما استطاع ان يكون بتلك الكيفية التي صوره بها مؤلف ذلك الكتاب الذي أقل وصف ينطبق عليه انه كأحد كتب الخلاعة والفجور التي يرتاح لمطالعتها أدنى الناس أخلاقاً وأسفلهم آداباً والتي هي بعرف المتأدبين مكروب يفتك بالاخلاق

وقد قال أحد كتاب الروس « ان كتاب رسبوتين لفقه كاتب مأجور من أولئك الكتاب المسترزقة الذين ارتكزوا في اشباع بطونهم الخاوية على هتك الاعراض ونهش الفضائل وما هو الا تخيلات كاذبة صورها بمهارة بصورة الحقيقة كما يصور مؤلف روايات نقولا كارتر وأضرابه رواياتهم فيعتقد صغار الاحلام انها روايات حقيقية واقعية وما هي الا روايات ملفقة سداها البهتان ولحمتها الاوهام ولكنها على

كل حال خير من كتاب رسبوتين المملوء بالافك والبذاءة الذي كتبه كاتبه بتحريض البلشفيك وأذنابهم الزعانف

***

ان التاريخ شاهد عدل مملوء بالعظات والعبر وفيه من التطورات المدهشه ماوقف المؤلفون والمؤرخون حياله حيارى لا يدرون كيف يعللون الاسباب ولا يستطيعون الوصول الى النتائج الثابتة .

كان أبو الهدى الصيادي شيخاً من فلاحي حمص يعزف بمزماره تقرباً من قلوب الناس وطلباً لبرهم فتوصل بدهائه ومهارته الى التأثير على السلطان عبد الحميد أدهى رجال السياسة وأصبحت مملكة آل عثمان بيده يصدر الاوامر ويخفض ويرفع ويعز من يشاء ويذل من يشاء

راجع تاريخ فرنسا وايطاليا والق نظرة عامة على تاريخ الكرادلة وما كان لهم من السلطة على الملوك والمقام العالي في الدوائر العالية والمحافل الهامة فقد بلغ من تأثير الكثيرين منهم ان الملوك ما كانوا يستطيعون اصدار أمر الا بموافقتهم الخ الخ

راجع أيضاً تاريخ اليونان في أقدم أزمانه تجد ان الحل والعقد كان بيد رجال كهنة الاوثان الذين كانوا يأمرون وينهون ولا يبرم في البلاد أمر الا برضاهم

وقل مثل ذلك عن كهنة المصريين وكهنة بني اسرائيل فان الملوك ما كانوا يقطعون أمراً الا باستشارتهم والرجوع فيه اليهم وكان ملوك بني اسرائيل كما هو مذكور في التوراة اذا اشتدت عليهم الازمات يستنجدون بالكهنة ليفرجوا كربتهم وفي مقدمتهم داود النبي وغيره من الملوك

وفي التاريخ أدلة لا تحصى على ان رجال الدين كانت لهم اليد الطولى والقدح المعلى في ادارة شؤون الممالك ادارة منحرفة عن جادة الاخلاص .

أوردت كل هذه الامثلة توصلا الى القول بان رسبوتين كان داهية من رجال الدين واستطاع بواسطة الظروف الى بلوغ مكانة عالية في بلاط القيصر نقولا الثاني واني لا أستطيع في هذه المقدمة ذكر تفاصيل تلك الظروف فأحيل القارىء على

مطالعة هذا الكتاب التاريخي الذي وضعه المؤرخ الصادق بطرس جيار الذي عاش في البلاط القيصري ثلاثة عشر عاماً وكتب كشاهد عيان ومنه يقف القارىء على حقيقة الحال الناصعة ويصدر حكماً صحيحاً مجرداً عن الهوى . وإتماماً للفائدة أجمل ذلك فيما يأتي : ولدت القيصرة أربع كريمات ونجلا ما كاد يطلع في سماء ولاية عهد الامبراطورية الروسية حتى اعتراه داء عضال عجزت عنه نطس أطباء روسيا وأوربا وأميركا وقطعوا الرجاء من شفائه . اذ ذاك تحولت القيصرة من الاعتماد على الناس الى الاعتماد على الله تعالى جلت قدرته وجعلت تقضي الايام بالصلاة والصوم والعبادة تقرباً اليه تعالى واستعطافاً لرحمته وأحضر لها بعضهم الراهب رسبوتين الذي كان قبل ذلك قد طارت شهرته بين السذج بالتقوى والصلاح وصنع العجائب الخ . ولما دخل هذا الداهية على القيصرة : قال لها : « آمني بأن صلواتك ستجاب فيتم لك ما تريدين . آمني بقوة الهي القادرة وابنك يشفى لا محالة » فصادفت هذه الكلمات هوى في نفس القيصرة واعتصمت بحبل هذا الرجاء كما يعتصم الغريق بالعود الرفيع . ومن هذا الحين أخذ رسبوتين يتدرج في النفوذ في البلاط القيصري حتى أصبح ذا حول وطول وكان الجميع يحاولون ارضاءه لاعتقادهم ان حياة ولي العهد معلقة على وجوده . ولم يكن يعيش في البلاط بل اتخذ له مسكناً مجاوراً له . هذا الخائن لوطنه كان جاسوساً للالمان وآلة صماء بيد القيادة العامة الالمانية فعمل بكل ما أوتيه من دهاء ومكر وخداع على هدم الامبراطورية الروسية لقاء مبالغ طائلة كان يتقاضاها من الالمان كما هو مذكور مفصلا في هذا الكتاب فليرجع اليه القارىء ليقف على الحقائق الراهنة ومنه يعلم ان القيصرة كانت تثق برسبوتين ثقة دينية فقط دون سواها

***

مجلة المقتطف الغراء من المجلات الراسخة في اثبات الحقائق وكلامها يعد حجة لا تنقض عند أهل العلم والفلسفة وأصحاب العقول النيرة وأني اثباتاً لما ذكرت أنقل عنها ما ذكرته بهذا الصدد في الصفحة ٤٩٩ من المجلد الثامن والخمسين حيث قالت

« لم نكن شهود عيان لما حـدث في روسيا من حين ان قام فيها رسبوتين الى أن نفذ الحـكم في القيصر وأهل بيته وتقوضت أركان السلم في تلك البلاد وانما نحن نقلة أخبار فنعتمد على الثقات ونرد المسببات الى أسبابها المعقولة . والذين نقلنا عنهم من أكبر الثقات فالـكبتن مكلا كان في مدينتا كايتيرينبورج حيث قتل القيصر وأهل بيته وهو مطلع على ما حـدث قبل ذلك وبعده والمسيو جيـار كان معلماً لأولاد القيصر زمناً طويلا ومساً كناً للبيت القيصري . وآراء الكتاب الذين اطلعنا على كتاباتهم ان رسـبوتين كان من أخبث الناس وان القيصرة كانت تثق به ثقة دينية ولكننا لم نر المبالغات التي ذكرها له لوكو مذكورة فيما اطلعنا عليه مما كتبه غيره . وما من دليل على أن الذين حكموا بالقتل على القيصر وأهـل بيته والذين نفذوا الحـكم فعلوا ذلك عقاباً للقيصرة على انصياعها الى رسـبوتين الى الحد الذي ذكره لوكو . وفي الثورات العموميـة تثور الاخلاق الوحشـية فيقدم المرء على قتل الذين يخشى أن يقتلوه اذا عاد الحـكم اليهم كما حدث في الثورة الفرنسوية ولذلك لا يلزم ان يكون العقاب حينئذ على قدر الجريمـة ولا نتيجة لازمة عنها . ولو حوكم القيصر والقيصرة في مجلس علني وثبتت عليهما جريمة تسـتلزم قتلهما وقتلا كما يقتل المجرمون المحكوم عليهم بالقتل لما حق لاحد ان يلوم القضاة ولا الذين عملوا بأمرهم أما قتلهما وقتل أولادهما على الصورة الفظيعة التي قتلوا بها فلا مـبرر له بوجه من الوجوه . الخ

وعلقت مجلة المقتطف الغراء على قتل القيصر بتلك الصورة الفظيعة فقالت في الصفحة ٢٢٣ من المجلد الثامن والخمسين « وكنا نظن ان الاديان والعلوم والفنون التي انتشرت في هذا العصر أزالت الطباع الوحشـية من الناس فاذا طباع السوء مخبوءة تحت غشاء العمران فلما ثارت هذه الحرب مزقت الغشاء عن نفوس كثيرين فأمسوا كالوحوش الضارية . فان يورفسكي (١) هذا من الذين اذا دخلت بيوتهم

---

(١) قاتل القيصر

ورأيت أولادهم حسبتهم من أرقى الاوربيين . ولعلّ أعوانه كانوا مثله لكن تعليم أولادهم اللغات والفنون وتأثيث بيوتهم بما يدل على الرفاهة والشرف وادعاؤهم أنهم يعملون لمصلحة الشعب كل ذلك لم يغير طباع السوء المغروسة في نفوسهم فثارثائرها حالما أطلق لها العنان . آه

وجاء بجريدة « جورنال دو كير » في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « أكاذيب السوفيت » ان أحد محرري جريدة « الشيكاغو تربيون » سأل المسيو تشيشيرين مندوب السوفيت في مؤتمر جنوى عن قتل القيصر وأهل بيته فأجابه المندوب قائلا : « ان القيصر وحده أعدم رمياً بالرصاص بدون معرفة حكومة موسكو و بدون أمرها بل ان الذي أصدر حكماً بقتله هو مجلس اجراء ايكاتيرنبورج . وان القيصرة و بناتها موجودات الآن في أميركا . ولكن لسوء حظ تشيشيرين توجد براهين قاطعة تدل على انه تعمد الكذب والمكابرة وأهمها مقالة نشرها المسيو نقولا سوكولوف في مجلة الاوبينيون الانجليزية(Opinion) وقد أظهر فيها الكاتب المذكور الذي كان قاضي تحقيق قضية مقتل القيصر وأفراد عائلته وحاشيته رمياً بالرصاص وجاءت روايته هذه مطابقة تمام المطابقة لرواية بطرس جيار مؤلف هذا الكتاب مما لازوم لاعادته اه .

والغريب ان تشيشيرين وحده يعلم ان بنات القيصر موجودات في أميركا وأهالي أميركا لايعلمون ذلك ولكن هي السماجة تقود صاحبها الى الكذب والاختلاق دون أن يخشى مايلحقه بسبب ذلك من العار والشنار ودولة هذا شأن ساستها وزعمائها لا بد يوماً ما أن تتقوض أركانها ولكن واأسفاه فان دمارها لا يجيء الا بعد خراب البصرة وعلى كل الاحوال فان كل شيء مبني على الفساد فهو فاسد ولا يدوم الا الانسب تلك حقيقة راهنة ومن يعش يره .

سليم قبعين

مقدمة المعرب الروسي عن الفرنسية

نشرت المجلة الفرنسية المصورة (l'illustration) في عددها الصادر بتاريخ ١٨ ديسمبر سـنة ١٩٢٠ تفاصيل حياة ومصرع القيصر نقولا الثاني وعائلته بقلم الاستاذ بطرس جيار مـدرس الامير أليكسي ولي عهد القيصر وهو أول من نشر تلك التفاصيل وأظهرها الى عالم الوجود بعد أن تضاربت الافكار وكثرت الاقاويل شأن القيصر وأفراد بيته

ان مصدر هذه التفاصيل ثقة لاريب فيه وكتب ما كتب بناء على ماشاهده بعيني رأسه وحققه بنفسه وقد وقعت روايته موقع التأثير الشديد في النفوس وأسالت لدمع من المآقي بل اصطكت من هولها المسامع ورجفت الافئدة واهتزت الاعصاب فزعا وتقطعت نياط القلوب جزعاً ولا نغالي اذا قلنا انها أثارت عوامل الحزن الشديد في كل جسم يخفق فيه قلب انساني وجعلت النفوس ترتاع من هول وفظاعة مايرتكبه الانسان مع أخيه الانسان .

ان التفاصيل التي نشرها الاستاذ بطرس جيار كشفت السـتار عن حقائق تاريخيـة صادقة لولاه لبقيت سراً مكتوماً ووقائع غامضـة ولـكن للحق أنصاراً مابرحوا في كل مكان وزمان يزيلون طلاء البهتان الذي يطلي به أصحاب الاغراض السيئة والمآرب الدنيئة وجه الحقائق فيطمسونها طمساً ويشوهونها تشويهاً وياليتهم يقفون عند هـذا الموقف المضطرب بل انهـم يصورون جرائمهـم بصورة الحقيقة الناصعة التي لاغبار عليها ويؤيدونها بالبراهين الملفقة وشهود الزور والنفاق

وعلى هذا النهج الاعوج المشوه سار المؤرخون الروسيون في بدء الثورة الروسية والتمسوا أعذاراً لعصابة البلشفيين السفاحين على ما ارتكبوه من الفظائع الشنعاء وما سفكوه من دم الابرياء ولا سيما تلك الميتة الشنيعة التي أماتوا بها القيصر وأهل بيته التي لم يسجل التاريخ حادثة أفظع منها منـذ أخذ الناس يكتبون التاريخ

ان المؤرخين الروسيين الذين سطروا حوادث الثورة الروسـية مهما كانت أميالهم

ومها اتصفوا بالعـدالة ومهما حاولوا تسجيل الحقائق لم يستطيعوا أن يقدموا للناس صورة حقيقية ناصعة تمثل حياة الاسرة القيصر ية قبل الثورة و بعدها وما كانت عليه تلك الاسرة الـكريمة من المبادىء القويمة والاخلاق الطاهرة والتقوى والصـلاح والعيشة العائلية الحقيقية التي أبقت للناس درساً نافعاً يبث في نفوسهم روح الفضائل والمحبة الخالصة التي لاتشوبها شائبة

ان الاستاذ جيار رجل غريب عاش في البلاط القيصرى عدة سنوات مدرساً لبنات القيصر ولولي عهده وكان يقضي سحابة نهاره بينهم . هذا الرجل وصف تلك الاسرة الـكريمة أحسن وصف مجرداً عن الغايات وقـدمها للناس كما هي صورة طبق الاصـل وكشف النقاب عن تلك المفتريات التي افـتراها عليها المنافقون من تلك الفئة الضالة المسترزقة ووصف ماحدث لها وصفاً دقيقاً شاهده بنفسه بعد القاء القبض عليها وسجنها في قصر تسارسكويه سيسـلو وفي دار محافظـة تو بولسك وفي منزل ايباتييف في ايكا تيرينبورج

والى القارىء ما كتبته عن الاسـتاذ بطرس جيار المجلة الفرنسـية المصورة « L'illustration » قالت : ان بطرس جيار سويسري الاصل أنهى سنة ١٩٠٤ جامعة لوزان و بعد ذلك دعي الى بطرسبرج لتدريس اللغة الفرنسية للامير سرجيوس ليختينبورسكي من أقارب القيصر نقولا الثاني وفي السنة التالية دعي للبلاط القيصري لتدريس اللغة الفرنسية للغراندوقة اولغا كريمة القيصر وعمرها عشر سنوات ولشقيقتها الاميرة تاتيانا وعمرها ثماني سنوات . وفي عام ١٩١٣ أصبح مدرساً خاصاً لولي عهد القيصر الامير اليكسي وكان قد تمت له اذ ذاك تسع سنوات . وأعطي لقب مساعد مربي ولي العهد . و بما انه لم يعين لذلك العهد شخص لتربية ولي العهد فان الاستاذ جيار شغل تلك الوظيفة وأصبح من ذلك الوقت يعيش في البلاط القيصري و يقضي سحابة نهاره مع أسرة القيصر ولما حـدثت ثورة عام ١٩١٧ كان موجوداً في قصر تسارسكويه سيلو . وقد سجنت الحـكومة الموقتة القيصر وأهل بيته في ذلك القيصر وأصدرت أمراً للحاشية ورجال البلاط بمغادرة القصر في مدة ٢٤ ساعة أو أن يرضخوا

للسجن الاختيـاري . فاختار جيار الامر الاخير و بقي مسـجونا في القصر سجنا اختياريًا . وفي أواخر يوليو من ذالك العام استدعاه كيرينسكي وقال له انالحكومة الموقتة ستنقل القيصر وأهل بيته الى مكان آخر فأجابه انه يود أن يسافر معهم ولا يفارقهم . وسيرى القارئ كيف ان هذا الرجل الفاضل المخلص رافق أسرة رومانوف الى مدينة ايكاتيرينبورج وكيف انه أرغم فيما بعد على مفارقتها رغمًا عن الحاحه الشديد بالبقاء معها ومشاركتها في كل شيء ولـكن ابعاده عنها الاجباري كان سببًا لنجاته و بقائه حيًا

و بين الافراد القايلين الذين أتيح لهم النجاة من بطانة القيصر كان جيارالذي شارك القيصر وأهل بيته في ما عانوه من أهوال السجن والتضييق وشدة المراقبة في قصر تسارسكويه سيلو وفي تو بولسك من أول يوم الى آخر يوم . وفي ايكاتيرينبورج كان أول من أقدم على تحقيق نهاية تلك الاسرة المؤلمة المحزنة وعرض نفسه للخطر مرارًا فأظهر على انه كان من أشد الناس اخلاصًا للقيصر وأسرته وأعظمهـم وفاء ولذلك فان شهادته لها قيمة عظيمة فانهـا لم تدع و يالللاسف شكا في هلاك القيصر نقولا الثاني والقيصرة اليكساندرافيدوروفنا وأولادهما

ان بطرس جيار لم يقف عند حد ذكر جريمة ايكاتيرينبورج الفظيعة بل وصف للناس القيصر والقيصرة وأولادهما خـير وصف وذكر ما كان لهما من الصفات الجليلة والسجايا الحميدة والاخـلاق الطاهرة . ودحض كل تلك المفتريات والمخـازي التي أشاعها المنافقون الافـاكون عن أسرار قصر تسارسكويه سيسلو وصوروا لها الفلاح الشيخ رسبوتين بصورة فاسدة لا يصدقها من عنده ذرة من العقل

ان بطرس جيار رجل مجرد عن الاغراض والغايات ورسم بريشته ما وقع أمام بصره وسمعه وحاول ارسال نور الحقائق ليقشع به ظلمات التهم الباطلة والمفتريات الفاسدة التي حاول الافاكون الصاقها بالقيصرة وأولادها

وليس الذنب ذنبه فيما اذا كانت الصورة الحقيقيـة التي صوّر بها القيصرة وكريماتها

مخالفة لتلك الصورة التي صورها بهن المنافقون المفترون . فانه ما أسهل على أصحاب الاغراض افتراء الافك والنفاق

لي حيلة في من ينمّ ... وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتي فيه قليلة

ان الاستاذ جيار أيد مشاهداته برسوم فوتوغرافية صورها بذاته وهي كما لا يخفى شواهد عدول لا تقبل النقض والدحض ثم ان بعض الرسوم الواردة في هذا الكتاب صورتها لجنة التحقيق التي حققت مسألة قتل القيصر وأهل بيته . ان ريشة المصور التي رسمت تلك الرسوم المؤلمة التي اذا وقع عليها البصر اضطرب الناظر اليها جزعاً وفزعاً وألماً ويكفي الناظر تلك الصورة التي جلس فيها القيصر وأهل بيته على ظهر غرفة الزهور المجاورة لحديقة تو بولسك ليروا نور الشمس ويستدفئوا بحرارتها أولئك الذين كان يفتديهم من قبل ١٧٠ مليوناً من نفوس رعاياهم المخلصين . وهذه الصورة تمثل للقارىء حقيقة ما جرى لتلك الاسرة المنكودة الطالع في سجنها في بطرسبرج وتو بولسك وايكاتيرينبورج وان ذلك كان الفصل الاخير من تاريخ حياتها بل من تلك المأساة المؤلمة التي وجهت أنظار العالم ورفعت الستار عن فظائع ما خطر لبال انسان صدور مثلها في القرن العشرين . وقد جعلت كثيرين من أصحاب الضمائر الطاهرة ينشرون الحقائق الثابتة عن تلك المأساة نذكر منهم جورج تيلبيرج وزير حقانية حكومة اومسك فانه نشر في اميركا مقالات ضافية استقى مصادرها من لجنة التحقيق . ومنهم روبير فيلتون مراسل جريدة التيمس الذي اشترك بنفسه مع لجنة التحقيق ووقف على أمور ثابتة وأصدر كتاباً في لندرا تحت عنوان «آخر أيام أسرة رومانوف» نشر فيه كثيراً من الاوراق الرسمية التي لا تدع شكاً في نفس مرتاب عما أصاب تلك الاسرة من المصائب وما عوملت به من المعاملة القاسية وكانت آخرها تلك النهاية المحزنة



القيصر والقيصرة في احدى الحفلات الرسمية



﴿ كريمات القيصر وولي عهده ﴾

نهاية الاسرة القيصرية المحزنة

للاستاذ جيار

الفصل الاول

جريمة ايكاتيرينبورج

قال بطرس جيار

حان الوقت لاطلاع العالم على حقيقة جريمة ايكاتيرينبورج وشرح تفاصيلها لهم وما يتبعها من الفظائع الشنعاء وليعذرني القراء اذا آلمت شعورهم وقطعت نياط قلوبهم بما سأذكره من الوصف المحزن والحوادث المؤلمة فهو التاريخ والواجب يقضي على المؤرخ الصادق أن يسطر الحقائق كما هي ويلبسها ثوب الحقيقه الناصع مهما كان تأثيرها في نفوس قارئيها

أجل لقد آن الاوان لاخبار الناس في سائر أقطار الارض وتزويدهم بمعلومات ضافية عن حوادث ليلة ١٧ يوليو عام ١٩١٨ ليصدروا فيما بعد حكماً عادلا ويرسلوا صواعق سخطهم وغضبهم على أولئك السفاحين الجناة الذين سودوا صفحات التاريخ بأعمالهم المخزية التي تبرأ منها الوحوش الكاسرة

ان لجنة التحقيق أمرتنا بالسكوت المطلق وعدم نشر شيء عما شاهدناه وكانت مدفوعة الى ذلك بأوامر صدرت لها من السفاحين وكان ذلك سبباً في تضليل الناس وعدم ايقافهم على حقيقة ماجرى ولكن جاء وقت بعد ذلك للصادقين المخلصين الذين لايخشون في اظهار الحقيقة لومة لائم أو نقمة ناقم للنطق بتلك الحقائق وتقديمها للناس مجردة عن الاغراض والاميال . والصادق يقوم بالواجب عليه مهما كان هذا الواجب ثقيلا ومهما كان التصريح به مراً مؤلماً . وانني أطرح جانباً أمر مسئولية المسئولين عن تلك الفظائع التي تقشعر منها الابدان وانما أروي الحوادث التي حدثت في ايكاتيرينبورج وقد شاهدت بعضها بعيني رأسي ووقفت على بعضها

من اشتراكي الفعلي مع لجنة التحقيق واني أشهد الله والتاريخ على اني أصور للقراء أعمال السفاحين كما هي دون زيادة ولا نقصان واليك البيان

أقامت عائلة القيصر بعد ثورة عام ١٩١٧ الخمسة أشهر الاولى في قصر تسارسكويه‌سيلو بجوار بطرسبرج وفي شهر أغسطس من ذلك العام نقلت الى توبولسك وكانت مؤلفة من القيصر والقيصرة وخمسة أولاد هم : ولي العهد وعمره ١٣ سنه وأولغا وعمرها ٢٢ سنة وتاتيانا وعمرها ٢٠ سنة وماريا وعمرها ١٨ سنة وأنسطاسيا وعمرها ١٦ سنة ونقل معها عدة أشخاص من بطانتهم وعدد كبيرمن الخدم والحشم

وفي ابريل سنة ١٩١٨ شخص المأمور ياكوفليف من توبلساك الى موسكو ليستصدر أمراً بنقل القيصر وعائلته الى مكان آخر وكان له ذلك . غيران ولي العهد كان مريضاً مرضاً مخطراً لايتحمل جسمه متاعب السفر فقر القرار على تركه في توبولسك مع ثلاث من أخواته على أن ينقلوه فيما بعد . وفي السادس والعشرين من شهر ابريل نقل المأمور ياكوفليف القيصر والقيصرة وكريمتهما ماري ونقل معهم الهوفمارشال البرنس دولغوروكوف والدكتور بوتكن وثلاثة من الخدم — تشيمادوروف باور القيصر وحنه ديميدوفا وصيفة القيصرة وايفان سدنيف وخدم الاميرات كريمات القيصر . ركبوا جميعهم الجياد وسافروا الى تيومين (١) وفيها أقرب محطة للسكة الحديدية من مدينة توبولسك

---

(١) مدينة صغيرة في ولاية توبولسك في سيبريا يبلغ عدد سكانها ٣٤٠٠٠ نفس وتكثر فيها المعامل الصناعية

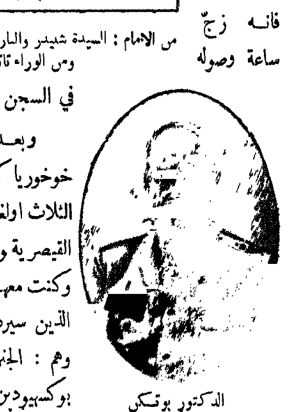
وفي ٣٠ ابريل وصلوا الى مدينة ايكاتيرينبورج وأنزلهم ذلك المأمور في منزل رجل يدعى ايباتييف من كبار تجار المدينة ماعدا الامير دولغوروكوف فانه زجّ ساعة وصوله



من الامام : السيدة شيندر والبارونة هندريكوف والبرنس دولغوروكوف ومن الوراء تاتيشيف وبطرس جيار

في السجن

وبعد ثلاثة أسابيع نقل المأموران خوخوريا كوف ورديونوف ولي العهد واخواته الثلاث اولغا وتاتانيا وأنسطاسيا وكل أفراد البطانة القيصرية والخدم والحشم الذين كانوا في تو بولسك وكنت معهم واني أذكر منهم أسماء الاشخاص الذين سيرد ذكرهم فيما بعد في روايتي هذه وهم : الجنرال تاتيشّيف ياور القيصر والبارونة بوكسهيودبن والكونتة هندريكوفاوصيفتا القيصرة



الدكتور بوتكين

والسيدة شنيدر والدكتور ديريفينكو طبيب ولي العهد والمسيو جيبس الانكليزي

وفي ٢٢ مايو بلغنا تيومن وأرسلنا حالا تحت حراسة حراس من الجنود على قطار خاص يوصلنا الى ايكاتيرينبورج وفي تلك اللحظة التي أردت بها الجلوس في القطار الى جانب تلميذي ولي العهد تقدم مني أحد الحراس وجذبني بعنف ودفعني بشدة الى خارج القطار وقادني الى مركبة في الدرجة الرابعة التي كانت محاطة كباقي الدرجات بالجنود و بلغنا ايكاتيرينبورج ليلا حيث وقف القطار خارج المحطة

وعند الساعة التاسعة صباحاً حضر عدة من الحوذية ووقفوا بعرباتهم الى جانب القطار الذي كان يقلنا ورأيت أربعة أشخاص مجهولين دخلوا مركبة أولاد القيصر و بعد عدة دقائق خرج من تلك المركبة الجندي البحري ناغورني حاملا ولي العهد على يديه ومر أمام نافذتي وكانت تتبعه الاميرات وهن حاملات الحقائب والوسادات وأشياء أخرى فحاولت الخروج ولكن الحارس الواقف على باب المركبة دفعني بشدة فعدت وجلست أمام النافذة ثم خرجت بعد الجميع الاميرة تاتانيا تحمل باحدى يديها كلبها الصغير و بالاخرى حقيبة سوداء ثقيلة وكانت تغوص في الوحل ووقعت على الارض دفعتين فوق الوحل بسبب ثقل الحقيبة فهرول البحري ناغورني لمساعدتها ولكن أحد المأمورين دفعه بعنف ولطمه لطمة شديدة و بعد دقائق معدودة سارت العربات بأحمال القيصر متجهة نحو المدينة و بعد دقائق معدودة اختفت عن الانظار

وما أشد تعاستي بل ما أسوأ حظي لأني لم أفقه بأنه حكم عليّ بأن لا أرى بعد اولئك الذين عشت بينهم عدة أعوام مكرماً مبجلا . وكنت واثقاً بأنهم سيعودون الينا بعد فترة قصيرة و ينقلوننا الى المدينة واننا سنجتمع بهم هناك ولكن ساء فألي وذهبت آمالي وانتظاري عبثاً و بعد مدة تحرك القطار بنا الى المحطة و رأيت أنهم نقلوا الجنرال تاتيشيف والكونتة هندريكوفا والسيدة شنيدر و بعد فترة طويلة جاء دور فولكوف خادم الامبراطورة والطباخ خاريتونوف والخادم تروبا والغلام سيدنيف وهو فتى في الرابعة عشرة من العمر وأخيراً فرّ منهم فولكوف

ونجها وأطلقوا سراح الغلام سيدنيف وأما الباقون الذين نقلوهم في هـذا اليوم فقد قتلوهم وأخذوا آثارهم .

وأما نحن الباقون فلبثنا ننتظر ما يخبئه لنا الزمان وكنا نتساءل ماذا جرى ولماذا لا يعودون الينا وينقلوننا وكنا نفرض فروضاً عديدة ونضرب أخماساً بأسداس . وأخيراً عند الساعة الخامسة مساء دخل علينا المأمور روديونوف وهو الذي جاءنا في توبولسك وقال لنا : « انه لا لزوم لنا بعد » واننا « أحرار من هذه الساعة » فقلنا في نفوسنا : أحرار يعني انهم يريدون ان يفرقوا بيننا نهائياً فوقعت علينا حيرة عظمى جعلتنا كالسكارى وما نحن في الحقيقة بسكارى ولكن دهتنا دواهٍ فهمنا حيارى وجعلنا نتداول فيما بيننا والذهول آخذ منا كل مأخذ وقلنا ما العمل يا ترى؟ والى من نلجأ وقد ضاقت أنفاسنا وشعرنا بضغط شديد على صدورنا ولا نبالغ اذا قلنا انه كادت تزهق أرواحنا . وأنا الى الآن لا أستطيع أن أفهم بل ليس في وسعي ادراك على أي شيء كان يعتمد المأمورون البلشفيون في تصرفاتهم وأعمالهم وما الذي حملهم على تركنا أحياء ؟ ولماذا يا ترى زجوا في السجن الكونتة هندريكوفا؟ وتركوا البارونة بوكسهيودن مطلقة حرة وهي أيضاً من وصيفات القيصرة ولماذا تركونا أيضاً أحرارا . ألا يوجد يا ترى سوء تفاهم في الاسباب والالقاب . ان جميع ذلك من العجائب المبكية المدهشة في آن واحد .

وفي اليوم التالي وما بعده قصدت مع زملائي قنصلي انجلترا وأسوج بسبب غياب قنصل فرنسا وطلبنا منهما بالحاح والحاف ضرورة الاسراع في نجدة المسجونين. فسكّن القنصلان اضطرابنا وقالا أنهما اتخذا الاحتياطات اللازمة وفوق ذلك فانهما لا يريان في المسألة ما يدعو الى الخطر . أما أنا فجعلت أحوم كالفراشة حول منزل ابياتييف المسجون فيه القيصر وعائلته وكنت أستطيع رؤيته فقط من محل مرتفع وكان محاطاً (بدرابزين) عالٍ من الخشب . واني لم أقطع الامل من دخولي ذلك المنزل لان الدكتور دير يفينكو الذي كان مصرحاً له بعيادة ولي العهد قال انه سمع الدكتور بوتكن يرجو المأمور افديف رئيس الحرس باسم القيصر أن يصرح لي بالانضمام

اليهم وقد أجابه هذا بأنه أرسل الى موسكو يطلب التصريح بذلك . وأقمت مع رفقائي شهراً كاملا في مركبة القطار الذي سافرنا عليه في الدرجة الرابعة خلا الدكتور دير يفينكو فانه اتخذ منزلا وسط المدينة

وفي ٢٦ مايو صدر لنا أمر مشدد بمغادرة حدود ولاية برم الموجودة فيها مدينة ايكاتيرينبورج والسفر حالا الى توبولسك وسلمونا جوازاً واحداً باسم الجميع حتى لا يفارق أحدنا الآخر وحتى يسهلوا على الحراس أمر مراقبتنا ومن حسن حظنا ان القطارات كانت توقفت عن السير بسبب انتشار الحركة ضد البلشفيين وتطوع الكثيرون ضدهم من التشيكوسلاف وغيرهم وتخصصت كل القطارات لنقل المهمات العسكرية والجنود بسرعة متناهية الى تيومن فحمدنا الله على ذلك .

وبينما كنت ماراً ذات يوم أمام منزل سجن القيصر وعائلته مع الدكتور دير يفينكو وصديقي جبس وجه التفاتنا حوذيان محاطان بكتيبة من الجنود الحمر وما كان أعظم دهشتنا عند ما أبصرنا في احدى العربتين ايفان سيدنيف (خادم كريمات القيصر) جالساً بين جنديين من الحمر وأبصرنا في العربة الاخرى البحري ناغورني وقد وقف هذا على مقدم العربة وأبصرناه من وراء الجماهير المكتظة واقفين على بعد عدة خطوات عنه . فألقى علينا نظرات حادة والدموع تتساقط من عينيه ولكنه بعد ثوان حوّل نظره عنا حتى لا يوجه الالتفات الينا ويسلمنا بتلك النظرات الى العدو فعاد وجلس في داخل العربة

ثم سارت العربتان وشيعناهما بأنظارنا وأبصرناهما قد عرجتا على طريق السجن وقد أعدما كلاهما بعد أيام رمياً بالرصاص وكان ذنبهما الوحيد انهما أظهرا السخط والغضب عند ما نزع مأمورو البلشفيين من فوق سرير ولي العهد المريض سلسلة من الذهب معلقاً فيها عدة ايقونات مقدسة صغيرة

وبعد عدة أيام علمت من الدكتور دير يفينكو ان البلشفيين رفضوا طلب الدكتور بوتكن بشأني . وفي ٣ يونيو ألحقوا مركبتنا بالقطار المسافر الى تيومن فبلغناها في ١٥ يونيو بعد متاعب ومشقات كابدناها في الطريق لا محل لذكرها



﴿ولي عهد القيصر﴾

« يداعب كلبه »

و بعد وصولنا قبض علي في معسكر البلشفيك حيث ذهبت للتأشير على جواز السفر وفي هذه المرة أيضاً جاوزنا الخطر الذي كان ينتظرنا

وفي ٢٠ يوليو استولى الجنود البيض على تيومن وأنقذونا من أيدي أولئك السفاحين الذين كنا سنذهب ضحية مظالمهم . وبعد أيام نشرت الجرائد صورة اعلان علق في شوارع ايكاتيرينبورج وها هو بحروفه

« صدر حكم الاعدام على القيصر السابق نقولا رومانوف ونفذ في ١٧ يوليو . وأما القيصرة السابقة وأولادها فقد نقلوا الى مكان أمين »

وأخيراً في ٢٥ يوليو وقعت ايكاتيرينبورج نفسها بيد الجنود البيض ولما أعيدت المواصلات بعد مدة أسرعت أنا وجيبس الى السفر اليها للبحث عن عائلة القيصر وأصدقائنا الذين تركناهم فيها

وفي اليوم التالي لوصولي اليها توصلت لاول مرة لدخول منزل ايباتييف الذي كان القيصر مسجوناً فيه وطفت جميع غرفه غرفة غرفة فألفيتها على غير ترتيب لا يوصف وانهم حاولوا محو آثار الذين كانوا مقيمين فيها ورأيت أكداساً من الرماد كانت أخرجت من المواقد ولما بحثت في الرماد عثرت على أشياء صغيرة كثيرة من مواد الزينة حرق نصفها مثل فرشيات الاسنان ودبابيس وأزرار وغيرها ومن بينها فرش رأس القيصرة المصنوعة من ناب الفيل والمكتوب عليها الحرفان الاولان من اسمها وهما . ا. ث . فقلت اذا كان قد نقلوهم على عجل من هذا المنزل فانهن لم يأخذن معهن شيئاً من أدوات الزينة ثم رأيت على حائط غرفة القيصرة بين النافذتين رسم العلامة المحبوبة من القيصرة (١) وكانت ترسمها كثيراً في كل مكان تقيم فيه تيمناً وتبركا بها وقد رسمتها هنا بقلم رصاص وكتبت تحتها بحروف روسية كبيرة واضحة تاريخ دخولهم منزل ايباتييف وهو ٣٠/١٧ ابريل

---

(١) علامة هندية رمزية وهي عبارة عن صليب متساوي الاطراف المائلة الى جهة الشمس المشرقة

(حسب التاريخ الشرقي والغربي) وقد رسمت هذه العلامة أيضاً بدون تاريخ على جداري الغرفة التي كان يقيم فيها ولي العهد فوق مكان سريره ولكني لم أجد اشارة أخرى ترشدني الى مكان وجودهم

ثم نزلت الى طبقة المنزل السفلى ودخلت وفؤادي يخفق خفقاناً شديداً الغرفة التي رجحت أنهم قتلوا فيها وكان منظرها مخيفاً لدرجة لا يتصورها العقل وكان النور يدخلها من نافذة محددة بشبكة من القضبان الحديدية وكانت هذه النافذة على ارتفاع قامة الانسان وفي جدرانها وسقفها آثار الرصاص والحراب وكانت هذه الآثار تدل دلالة واضحة على ارتكاب جريمة فظيعة في هذه الغرفة وان أشخاصاً كثيرين وجدوا حتفهم فيها . ولكن من قتل ؟ وكم نفس ؟



(رسم غرفة القتل)

فتولاني يأس شديد وقلت اذا كان القيصر قد قتل فلا يمكن أن تبقى القيصرة حية بعده فقد رأيتها في توبولسك عند مادخل المأمور ياكوفليف على زوجها القيصر انها طرحت نفسها في مواقع الخطر وأنا رأيتها بعد ذلك في خلال عدة ساعات تتقاذفها عوامل الآلام والعذابات الشديدة : عوامل المحبة الزوجية والمحبة الوالدية وأخيراً اضطرت والحزن الشديد ملء فؤادها أن تترك ابنها الذي تفديه بروحها — ذلك الابن الذي وضعت فيه كل آمالها — تركت الابن الحبيب حداً وقد ثقل

عليه المرض وتبعت زوجها القيصر لتيقنها ان حياته مهددة بالخطر وأيقنت اذ ذاك بأنها لا بد أن تكون قتلت معه . ثم قلت ولكن أين الاولاد ؟ فهل يحتمل ان السفاحين أودوا بحياتهم ؟ لم أستطع أن أصدق ذلك . ولدى مرور هذه الافكار في مخيلتي انزعجت نفسي واقشعر جسمي واعتراني الذهول . ولكن كانت الدلائل أمامي واضحة ظاهرة تدل على كثرة الضحايا التي ذهبت فريسة السفاحين

وفي الايام التالية واصلت البحث والتفتيش في ايكاتيرينبورج وضواحيها وفي الدير وفي كل مكان رجوت أن أجد فيه شيئا وقد قابلت الكاهن دستوروجيف الذي أقام صلاة في منزل ايباتييف لآخر مرة وكان ذلك في ١٤ يوليو (تموز) أعني قبل الليلة الرهيبة بيومين . وكان لديه أمل ضعيف جداً

وقد سار البحث بعد ذلك ببطء شديد في ظروف صعبة ثقيلة لانه في المدة الواقعة بين ١٧ و ٢٥ يوليو (تموز) كان الوقت كافياً لمأموري البولشفيك لمحو آثار الجريمة العظيمة التي ارتكبوها . وبعد الاستيلاء على ايكاتيرينبورج أمرت السلطة العسكرية بالمحافظة على منزل ايباتييف وأحاطته بقوة من الجنود ثم شرعت في البحث والتنقيب ولكنها لم تستطع اكتشاف شيء جديد لان السفاحين أخفوا بمهارة فائقة جميع الآثار التي ترشد الى الحقيقة وأهم معلومات وقفت عليها لجنة التحقيق كانت من فلاحي قرية كوبياتكا الواقعة على بعد عشرين فيرست الى الجهة الشمالية الشرقية من ايكاتيرينبورج . وقال أولئك الفلاحون انه في الليلة ١٦ — ١٧ يوليو احتل البولشفيك الغابة المجاورة لقريتهم ومكثوا فيها عدة أيام وقدموا الاشياء التي وجدوها في الغابة في مكان أضرمت فيه النيران حيث وجدوا حطباً محرقاً فذهب الضباط الى الغابة الى المكان الذي أشار اليه الفلاحون فوجدوا أشياء أخرى تخص أفراد الاسرة الامبراطورية

وعهد في استيفاء التحقيق الى ايفان سيرجييف الذي كان مفتش نيابة محاكم ايكاتيرينبورج وقد صادف في خلال التحقيق مصاعب جمة لا تذلل فانه لم يعثر على

الاجساد مطلقاً وسمع من بعضهم أنهم نقلوا القيصرة وأولادها الى مكان آخر وظهر فيما بعد ان هذه الاشاعات الباطلة أشاعها أعوان البلشفيك وعياروهم الذين لبثوا في ايكاتيرينبورج لتضليل المحققين وابعادهم عن الوقوف على أثار الجريمة . وقد أدركوا غايتهم فان سيرجييف أضاع فرصة ثمينة ولم يعلم انهم قادوه الى الضلال الا بعد فوات الوقت

وفي يناير ١٩١٩ أدرك الادميرال كولتشاك أهمية مسألة قتل القيصر وعائلته للتاريخ فعزم أن يقف على التحقيق بنفسه ويواصل العمل حتى يقرر حقيقة راهنة فأصدر أمره الى قائد حامية مدينة ايكاتيرينبورج الجنرال ديديريخس وعهد اليه ان يرسل اليه الى مدينة أومسك أوراق التحقيق والاشياء التي تخص العائلة القيصرية التي عثر عليها المحققون السابقون . وفي ٥ فبراير دعا الادميرال كولتشاك اليه المسيو نقولا سوكولوف النائب العمومي المشهور بدقة تحقيقاته وأبحاثه القضائية وعهد اليه تحقيق هذه المسألة بدقة واعتناء وبعد يومين صدر أمر وزير الحقانية المسيو ستار ينكيفتش بالمصادقة على تعين سوكولوف المذكور في هذه المهمة

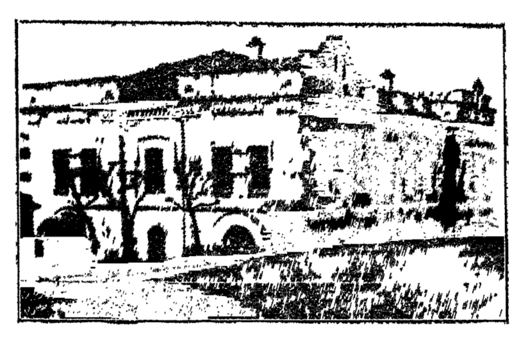
وفي أواخر فبراير استدعاني الجنرال جانين رئيس البعثة الفرنسية الى أومسك حيث تعرفت بالمسيو سوكولوف واشتغلت معه في التحقيق عدة أيام متوالية سافر بعدها الى ايكاتيرينبورج مكان حدوث الجريمة ليتم التحقيق الذي ابتدأ به سيرجييف

وفي شهر ابريل عاد الجنرال ديديرخيس من فلاديفوستوك وتوجه توا الى ايكاتيرينبورج لكي يساعد سوكولوف في التحقيق ويسهل له الوصول الى ما يريد ومن هذا التاريخ صادف التحقيق نجاحاً باهراً فسمعت شهادة مئات من الشهود ولما ذاب الثلج توجه المحققون الى الغابة التي حدثت فيها الجريمة وبحثوا في خبايا الارض وعثروا على أشياء كثيرة تخص العائلة القيصرية

وقد وجه سوكولوف كل مجهوداته لهذه المهمة الخطيرة التي اتخذها على عاتقه

وكرس كل أوقاته لهـا فاستطاع في خلال عـدة أشهر وضع تقرير ضاف مدهش لتلك الحادثة الفظيعة التي ارتكبها أولئك السفاحون المجردون عن الصفات الانسانية الميتو الضمائر وكشف الستار عن أعمالهم الوحشية وفظائعهم الشنيعة فقال :

في منتصف ابريل سنة ١٩١٨ أصدر المسيو يانكل سفير دلوف رئيس المجلس التنفيذي العام في موسكو أمره الى المأمور ياكوفليف المقيم في توبولسك بأن يبذل كل ما عنده من نفوذ وحيلة لنقل القيصر وعائلته الى مكان آخر وكانت المانيا تبذل نفوذها في ذلك وتعمل لنقل القيصر من توبولسك والمحافظة على حياته وحياة عائلته ولكن يانكل ضرب بضغطها عرض الحائط وأمر ياكوفليف ان ينقلهم الى موسكو أو بتروغراد بالظاهر ولكن هذا مع ما صادفه من العقبات والمقاومة بذل وسعه للتظاهر في تنفيذ ما أمر به . وقد جاءت المقاومة من مجلس اورال المحلي الذي كان يعمل وراء ظهر ياكوفليف ويعد المعدات لقتل القيصر وعائلته. كانت تسير هذه الامور بالظاهر على هذا النمط ولكن الحقيقة التي أظهرها التحقيق وأيدتها البراهين الثابتة وأقوال الشهود العديدين ان مجلس موسكو التنفيذي اتفق سراً مع مجلس بلاد اورال الكائن مركزه في مدينة ايكاتيرينبورج على قتل القيصر ولذلك كان رئيس المجلس التنفيذي سفير دلوف يعد ممثل دولة المانيا الكونت ميرباخ بأنه سينقل القيصر وعائلته الى مكان أمين ويحسن معاملتهم واتفق في الوقت نفسه مع مجلس بلاد اورال على عدم تمكين القيصر وعائلته من اجتياز بلادهم سالمين . فأخذ المجلس يعد عدته لذلك وأخرج التاجر ايباتييف من منزله قسراً وأحاطه بسياج خشبي متين من أسفله حتى منتهى الطبقة الثانية فأصبح كالقلعة الحصينة لا يستطيع أحد من الخارج ان يرى ما في داخله



منزل ايباتييف

وفي ٣٠ ابريل (نيسان) نقلوا القيصر من تو بولسك الى هذا المنزل مع القيصرة والاميرة ماري احدى كريمات القيصر والدكتور بوتكن و بعض الخدم

وعينوا لهم حراساً من الجنود الحمر كانوا يبدلونهم بمثلهم بين ضحية وعشاها واخيراً استبدلوهم بعمال المعامل والمصانع ومن العيارين والافاقيين الذين كان يستخدمهم البلشفيك للفتك بالنفوس البريئة وكان على رأسهم المأمور افديف الذي منح لقب: « مأمور البيت الخاص » وهو البيت الذي سجن فيه القيصر . وقد بذل هذا المأمور جهده في التضييق على القيصر وعائلته حتى أصبحت عيشتهم مرة لا تطاق ومع ان عيشتهم في تو بولسك كانت مما لا يحسدون عليها ولكنها في ايكاتيرينبورج ساءت جداً . ان المأمور افديف كان رجلا سكيراً يقضي سحابة نهاره في تناول المسكر وقد أبرز في مأموريته كلما فطرت عليه طبيعته السافلة الوحشية وكان لاعمل له غير ابتكار الاسباب لاهانة وتحقير واساءة من نيطت به حراستهم فاضطر القيصر أن يرضخ لهذه الحالة السيئة المنكرة و يطأطيء رأسه ذليلا أمام تلك الطغمة الفاسدة و يبذل وسعه بما فطر عليه من الحلم واللين لتنفيذ مطالبهم والرضوخ لاوامر ونواهي أفراد قدت قلوبهم من الصخر الاصم اولئك الغلاظ العقول الميتو الضمائر بل أولئك البرابرة السفلة

وفي ٢٣ مايو وصل الى ايكاتيرينبورج ولي العهد وأخواته الثلاث فقادوهم تواً الى منزل ابيا تييف حيث كان والداهم وكانت مقابلتهم مؤثرة جداً بحيث يعجز أعظم الواصفين عن وصفها وشعر جميعهم بسعادة فائقة لجمع شملهم ومع ما كانوا يقاسونه من التضييق والتحقير فانهم غبطوا نفوسهم على اجتماعهم

وفي ٢٤ مايو نقلوا خادم القيصر الخاص تشيمادوروف الى المستشفى بسبب مرضه ثم أرسلوا الى السجن البحري ناغورني وايفان سيدنيف وعلى ذلك أصبح عدد الحاشية يقل تدريجاً ومن حسن الحظ ترك السفاحون بعض المخلصين مع القيصر وعائلته منهم الدكتور بوتكن الشديد الاخلاص لمولاه وبعض أفراد من الخدم المخلصين الصادقين

وكان القيصر يقيم مع القيصرة وولي العهد في غرفة واحدة . وتقيم كريماته الاربع في غرفة أخرى ونزع الحراس الباب المؤدي من الغرفة الواحدة الى الاخرى وفي الليالي الاولى كانت الغرف خالية من الاسرّة وكذلك كان القيصر وأفراد عائلته ينامون على الارض

وبسبب وعثاء السفر ومشقة الطريق ساءت صحة ولي العهد وانحطت قواه وكان يقضي سحابة نهاره مضطجعاً على الارض يئن من شدة الآلام وكان القيصر يحمله أحياناً على ذراعيه ويخرج به الى ساحة المنزل الواسعة ليروّضه بعض الرياضة

وكان القيصر وعائلته مرغمين على الجلوس حول مائدة الطعام مع الحراس والمأمور والخدم . أما المأمورون فانهم أشغلوا غرفاً مجاورة لغرفة القيصر وعائلته وكانوا يدخلون عليهم في أي وقت أرادوا بحالة منكرة فظيعة وكان القيصر مضطراً مع عائلته لتحمل فظاظتهم وغلاظتهم وشراستهم . وقد كان للايمان القوي الراسخ في فؤاد القيصر وأفراد عائلته وشدة اتكالهم على الخالق سبحانه وتعالى فضل عظيم في حفظ قوتهم المعنوية وعدم انكسار قلوبهم لدرجة اليأس والقنوط فقد حفظوا في قلوبهم ذلك الايمان المسيحي الشديد الذي أدهش الجميع في توبولسك وأعطاهم من الضعف قوة في تحمل تلك التجارب والمصائب التي لو انقضت على جبل راسخ

لدكته دكا . وفي أغلب الاوقات كانت القيصرة تنشد مع كريماتها الاناشيد الروحية والصلوات التي ألانت قلوب الحراس وسحقت فظاظتهم ولطفت قساوتهم فأحسنوا معاملتهم وهم لا يشعرون

ان السور الخشبي المتين الذي أقامه الاسرار حول ذلك البيت من أدناه الى أعلاه أعطاه شكل سجن المجرمين الذين اعتادوا الاجرام وحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة بل جعله بمثابة قلعة محصنة لمقاومة عدو عنيد لدود وكان يقيم في الغرفة الاولى المأمور افدييف ويساعده موشكين وبعض العمال . وأما بقية الحراس فكانوا يقيمون في الطبقة الاولى وجميعهم بلا استثناء كانوا يدخلون غرف المسجونين في أي وقت أرادوا

واستطرد الحراس احسان معاملة المسجونين لما رأوه من وداعتهم وحلمهم وطول اناتهم وقد رشاهم تواضع القيصر وأفراد عائلته وصبرهم فانسحقت قلوبهم الغليظة بضغط تلك الاخلاق الباهرة والفضائل الزاهرة و بدون ان يلحظوا خضعوا منقادين لسلطة ذاك الذي عهدت اليهم حراسته والتضييق عليه . وأما السكير افدييف فانه رأى نفسه مغلوباً بل رأى نفسه بلا سلاح أمام عظمة النفس السامية وشعر بانحطاط نفسه وسفالة عنصره و بوجه الاجمال فان حاسة الشعور العميق وآلام النفس الظاهرة على القيصر وأفراد عائلته سحقت قلوب أولئك القساة ودمثت طباعهم

كان لحكومة السوفيت البولشفية في ذلك العهد عدة مجالس فكان منها في ايكاتيرينبورج (ا) مجلس بلاد اورال المؤلف من ثلاثين عضواً وعلى رأسه الرئيس بيلو بورودف (ب) المجلس التنفيذي المؤلف من عدة أعضاء من المجلس السابق هم : بيلو بورودوف وغولوشكين وسيرومولوتوف وسافاروف وفو يتوف وغيرهم (ج) المجلس الاعلى أو بعبارة أخرى اللجنة العليا الخاصة بمقاومة الخارجين على الحكومة والتنكيل بهم ومركزها الاساسي مدينة موسكو ولها فروع في جميع مدن روسيا وقراها الكبرى . على هذه الصورة كانت تتألف حكومة السوفيت . وكل فرع من فروع اللجنة العليا تتلقى الاوامر والنواهي وتنفذها بحسب ما تتراءاه من الوسائل وكان

أعضاء جميع اللجان من الاشداء و بينهم كثيرون من الاسرى الالمان والنمسو يين واللت والصينيين . وكانت لجنة ايكاتيرينبورج أشد اللجان نفوذاً وعلى رأسها يوروفسكي وغولوشيكين وغيرهما .

وكان أفدييف تحت مراقبة رجال اللجنة العليا الشديدة الدائمة وقد رأوا أخيراً التغيير العظيم في سلوك الحراس مع المسجونين فاتخذوا الاجراآت اللازمة المستعجلة .

وقد استحوذ القلق والاضطراب على مركز اللجنة العليا التنفيذية في موسكو ويظهر ذلك من نص التلغراف المرسل الى موسكو بتاريخ ٤ يوليو وقد أرسله بيلوبورودف وسفيردلوف وغولوشيكين. قالوا فيه : أوفدنا سيرو،ولوتوف الى موسكو لتنفيذ العمل حسب أوامر المركز فلا محل للقلق . وقد أوقفنا أفدييف وقبضنا على موشكين وأطلقنا سراح الحرس الداخلي واستبدلناه بغيره »

و بالفعل فانه في نفس هذا اليوم قبض على افدييف ومساعده موشكين وتعين مكانهما يوروفسكي اليهودي ومساعده نيكولين . وأما الحرس الداخلي الذي كان معظم رجاله من العمال الروسيين فقد نقلوا ووضعوا في بيت بو بوف المجاور لسجن القيصر . وقد أحضر يوروفسكي عشرة من أسرى الالمانيين الاشداء المنتخبين وهم من جلادي اللجنة العليا وعهد اليهم حراسة القيصر وعائلته . وأما الحرس الخارجي فبقي كما كان من الجنود الحمر الروسيين .

ومن ذلك اليوم أصبح « البيت الخاص » في عهدة المجلس التنفيذي وأصبحت حياة العائلة القيصرية بعد ذلك عبارة عن عذاب مستمر وآلام متواصلة .

وفي هذا الوقت كان المجلس التنفيذي في موسكو قد قرر قتل القيصر وعائلته يدل على ذلك التلغراف المذكور آنفاً فقد جاء فيه : « أوفدنا سيرمولوتوف الى موسكو لتنفيذ العمل حسب أوامر المركز

ثم عاد سير مولوتوف مع غولوشيكين من موسكو يحملان أوامر وتعليمات سفيردلوف . وقبيل ذلك كان يوروفسكي يجهز المعدات ويهيء الخطط لتنفيذ الامر .

فقد طاف عدة أيام متوالية على جواده في ضواحي المدينة يبحث عن مكان مناسب لاخفاء جثث ضحاياه . وهذا الرجل السافل الدنيء الذي لا يستطيع أمهر الكتاب وصف ما انطبع عليه من اللؤم والمكر والرياء والسفالة كان يدخل كل يوم على العائلة القيصرية ويرى بعيني رأسه ولي العهد الراقد فوق سرير المرض يتقلب متوجعاً متألماً ورأى بعينيه المملوءتين خبثاً ما تقاسيه تلك الاسرة من سوء المعاملة وماتكابده من الحزن العميق بسبب شدة المرض على ولي العهد وكان كل فرد منها مستعد ليجود بروحه فداء عنه

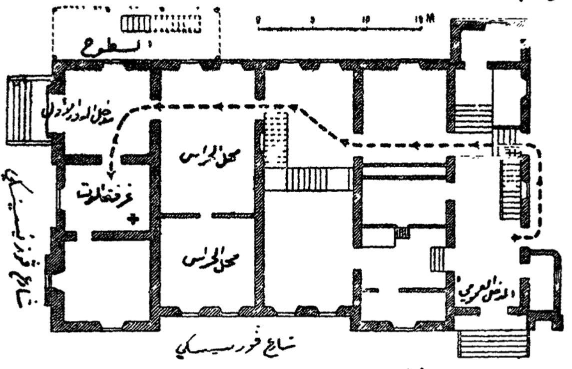
وقد أصدر أمره بنقل الغلام ليونيداسبدنيف الى منزل بوبوف حيث كان يعسكر الجنود الحمر

وعند الساعة السابعة من مساء ١٦ يوليو أمر يوروفسكي خادمه الامين العامل بولص ميدفيديف أن يحضر له من الجنود الحمر اثني عشر مسدساً من طرز نوهن ولما نفذ أمره وقام بهذه المهمة قال له : أنه سيصير قتل كل أفراد العائلة القيصرية في نفس هذه الليلة رمياً بالرصاص وأمره ان يخبر بذلك الجنود الحمر فاخبرهم فقط عند الساعة العاشرة مساء

وعند منتصف الليل دخل يورفسكي الغرفه المقيمة فيها عائلة القيصر وأيقظهم مع حاشيتهم بسرعة وأمرهم بالاستعداد للحاق به . وقال لهم : لقد حدثت اضطرابات شديدة في المدينة وانه آمن لهم ان ينزلوا الى دور المنزل الاسفل حتى لا يصيبهم رصاص الاعداء من النوافذ فارتدى جميعهم الملابس بسرعة البرق وأخذوا معهم الاشياء الضرورية والوسادات ونزلوا على السلم المظلم الى فناء المنزل ومن هناك دخلوا غرف الدور الاسفل وسار يورفسكي أمام الجميع وسار بعده نيكولين ووراءها سار القيصر حاملا ولي العهد على يديه ثم الامبراطورة والامبرات كريماتها

« يورفسكي قاتل القيصر »

فالدكتور بوتكن فحنة ديميدوفا فخاريتونوف فتروب ودخل المسجونون غرفة أشار اليها يوروفسكي وكانوا جميعهم واثقين بأنهم أرسلوا يطلبون عربات او سيارات لنقلهم الى مكان آخر مجهول وحتى لا يطول بهم الوقوف طلبوا كراسي للجلوس عليها فأحضروا لهم ثلاثة كراسي جلس على واحد منها ولي العهد الذي كان لا يستطيع الوقوف وجلس القيصر الى جانبه وسط الغرفة ووقف عن يمينهما الدكتور بوتكن وجلست القيصرة بجانب الحائط محاذية للنافذة ووضع ولي العهد والقيصرة الوسائد على الكراسي ووقفت الى جانب القيصرة احدى كريمتيها والراجح أنها تاتانيا ووقفت في آخر الغرفة حنة ديميدوفا وفي يدها وسادتان واستندت كريمات القيصر الثلاث على الحائط والى جانبهن من جهة اليمين وقف خاريتونوف وتروب وبعد انتظار عدة دقائق دخل يوروفسكي مع سبعة من الاسرى الالمانيين ودخل على أثرهم يرماكوف وفاهونوف من أعضاء اللجنة العليا ثم جاء بعدهم الخادم ميدفيديف ووقف يوروفسكي أمام القيصر وجهاً لوجه وخاطبه قائلا : « ان أنصاركم حاولوا انقاذكم ولكنهم فشلوا كل الفشل ولذلك فقد عزمنا على قتلكم . » وتناول في الحال مسدسه وأطلقه على القيصر عن كثب فخرّ صريعاً



« رسم منزل ايباتييف والطريق الذي ساروا فيه للقتل »

وكان قتل القيصر انذاراً بقتل جميع الموجودين واختار كل من السفاحين فريسة للفتك بها فمات الجميع بلحظة غير أن ولي العهد سقط على الارض يتضرج بدمه وكان يئن أنيناً يفتت الا كباد فأطلق يوروفسكي عليه رصاصة فأجهز عليه وكذلك الاميرة أناسطاسيا فانها جرحت فقط وأخذت تصرخ لدى اقتراب القاتل اليها فطعنها هـذا بحربته وقضى عليها . ولبثت حنة ديميدوفا حية فانها دافعت عن نفسها بالوسادتين وكانت تجري من ناحية الى أخرى غير ان قاتلها هجم عليها وأرداها على الارض قتيلة

وقد أفادت شهادة الشهود فيما بعد المحققين وكشفت لهم الستار عن هذه المأساة المحزنة التي لا يرتكبها أشرس الناس أخلاقاً وأشدهم قساوة وهاك أسماء الشهود : بولص ميدفيديف أحد القتلة وأناتولي يا كيموف الذي شاهد تمثيل المأساة وفيليب بروسكوريا كوف الذي روى الحادثة عن لسان الذين شاهدوها وكل هؤلاء كانوا من حراس بيت ايباتييف

ولما تم قتل الجميع على تلك الصورة الفظيعة جعل المأمورون يفتشون ملابس القتلى فعثروا فيها على أشياء ثمينة وحجارة كريمة سلبوها ولفوا الجثث بملاءات الفرش ونقلوها الى عربة كبيرة كانت واقفة على باب المنزل

وكان يجب عليهم الاسراع في نقل الجثث قبل ان تشرق الشمس وتفضح فظائعهم فسارت تلك الجنازة المحزنة وسط المدينة النائمة متجهة نحو الغابة وكان المأمور فاهنوف يسير أمام العربة ممتطياً جواداً ولما جاوزوا المدينة صادفوا عربة نقل راكبة عليها امرأة فلاحة من قرية كو بياتسكا مع ابنها وكنتها ينقلون سمكا لبيعه في المدينة فأمرهم فاهنوف بالعودة حالا والرجوع الى القرية مهدداً اياهم بالقتل ان لم يصدعوا بالامر وأمرهم ان لا يلتفتوا الى الوراء وسار معهم مسافة طويلة ولكن هؤلاء الفلاحين تمكنوا من رؤية عربة سوداء ضخمة كانت تسير وراء الفارس ولما عادوا الى القرية



« مكان ملاشاة الجثث »

قصوا على أهلها ما رأوا . فخرج في الصباح الفلاحون وانتشروا حول الغابة فرأوها محاطة بالجنود الذين وقفوا للمراقبة ومنع المارة

وبعد جهد شديد وصلت العربة الى المكان المعدّ من قبلُ في الغابة وكانت الطريق رديئة كثيرة التعاريج يصعب السير عليها . ولما بلغوا المكان المقصود أنزلوا الجثث على الارض ونزعوا عنها الملابس فوجدفيها المأمورون عدداً وافراً من الحجارة الكريمة كانت مخاطة بين ثنايا ملابس كريمات القيصر فسلبوها ولكن لسرعة العمل وبسبب الخوف سقط منهم عدة حجارة ثم وضعوا الجثث فوق الخشب وصبوا عليها البنزين ولكي يلاشوا الاشياء الغير القابلة للاحتراق صبوا عليها حامض الكبريتيك ولبث الاشرار ثلاثة أيام وثلاث ليالي يشتغلون تحت قيادة يوروفسكي ويرماكوف وفاهنوف وقد استعملوا ١٧٥ كيلو جرام حامض الكبريتيك وأكثر من ٣٠٠ لتر بنزين أحضروها من المدينة .

وفي ٢٠ يوليو انتهى كل شئ فاخفى الاشرار الحطب ووضعوا جزءاً من الرماد

في بئر أعدوها لذلك وذروا الجزء الاخر على الارض ليخفوا آثار جريمتهم

ولا بد للمرء ان يسأل نفسه لمَ هؤلاء الاشرار السفاكون يحاولون اخفاء أعمالهم الشريرة ؟ ولماذا وهم يؤكدون انهم ينفذون حكماً يحاولون التستر والاختفاء كمجرمين وممن يختفون ؟

وقد أجاب على هذه الاسئلة بواص ميدفيديف بتصريحه وهو ان يوروفسكي قال له بعد ارتكاب تلك الجريمة : كن شجاعاً ولا تتظاهر بشيء ولا تدع الخوف يظهر على ملامح وجهك لئلا يلحظ الشعب ويضطرب و يثور وانه في اليوم التالي استمر الحراس يحرسون المنزل الخالي كأنه لم يحدث فيه شيء وكأن المسجونين ما زالوا فيه

أجل انهم أرادوا خداع الشعب الروسي واخفاء جريمتهم عنه لئلا ينتقم منهم

واليك دليلا آخر على شدة تحفظ السفاحين وهو ما فعلوه يوم ٤ يوليو من ابعاد افدييف وكتيبة الجنود الحمر . ان أولئك المأمورين كانوا يرتابون بعمال المعامل الذين عرضوا عليهم خدمتهم لحراسة (نقولا الدموي) لذلك أبعدوهم لأنهم كانوا واثقين بأنه لا يقوم أحد بارتكاب مثل تلك الجريمة الشنعاء غير الجلادين الاغراب والمجرمين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة فتم لهم الامر وكان هؤلاء الناس الاشرار الوحوش هم : يوروفسكي اليهودي وميدفيديف ونيكولين و يرماكوف وفاهنوف من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة وسبعة من الاسرى الالمان والنمسويين

هؤلاء كانوا يحاولون اخفاء جريمتهم عن الشعب الروسي. هؤلاء الناس الذين يرشحون أنفسهم للوظائف العالية في المجالس وغيرها هؤلاء كانوا يخشون انتقام الشعب!!

وأخيراً في ٢٠ يوليو عزموا على اخبار الشعب بقتل القيصر فنشروا لذلك اعلاناً علقوه على جدران شوارع مدينة ايكاتيرينبورج و بعد خمسة أيام نشرت جرائد برم الاعلان الآتي :

حكم صادر

من مجلس بلاد أورال التنفيذي ومصدق عليه من منـدو بي العمال والفلاحين والجنود الحمر

بالنظر لوصول معـلومات صادقة تنبيء بأن عصابات التيشيكوسلوفاك تهدد ايكاتيرينبورج عاصمة اورال الحمراء وبالنظر الى ان السفاح المتوج اذا اختفى يخالف ارادة الشعب وينجو من حكمـه . وبناء على ذلك فان المجلس التنفيذي يرى ان واجباته تقضي عليه بتنفيذ ارادة الشعب وبناء على ذلك فقد اصـدر حكمه بقتـل القيصر السابق نقولا رومانوف رمياً بالرصاص لارتكابه جرائم دموية لاتحصى

وقد نفذ المجلس الحكم ليلة ١٧ يوليو

اما عائلة رومانوف فقـد ابعـدت عن ايكاتيرينبورج وارسلت الى مكان امين

مجلس اورال الاعلى

ومندوبو العمال والفلاحين والجنود الحمر

ثم نشرت الجرائد أيضا الاعلان الرسمي الآتي :

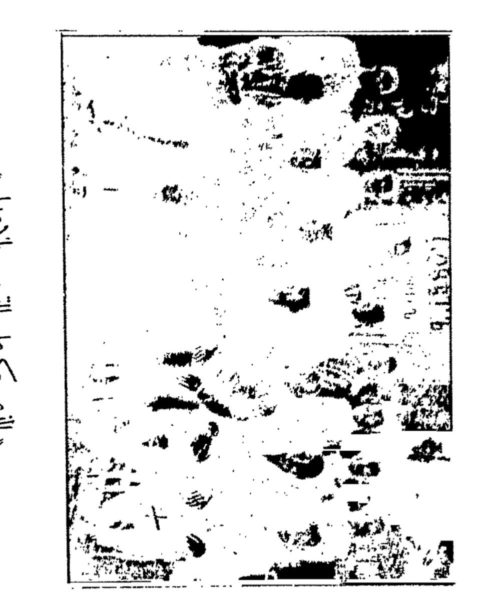
حكم صادر

من مجلس روسيا الاعلى العام التنفيذي الذي اجتمع فيـه مندوبو العمال والفـلاحين والجنود الحمر والقوزاق في ١٨ يوليو سنة ١٩١٨ . وقد صدق رئيس المجلس التنفيذي على حكم مجلس اورال

رئيس المجلس التنفيذي العام

سفيرولوف

ومن هذين الحكمين يظهر جلياً ان الحكم بقتل القيصر نقول الثاني صدر من مجلس أورال وهو كذب محض وافتراء ظاهر لاننا نعلم حق العلم ان جريمة ارتكاب القتل صدرت من موسكو بأمر سفيردلوف وحمل تعلياته يوروفسكي وغولوشيكين وسيرومولوتوف ونفذوها



« مجلس السوفيت » « الذي حكم على القيصر بالإعدام »

سفيرلدوف افتكر ويوروفسكي تمم ونفذ وكلاهما يهوديان

والحق الذي لا مراء فيه ان القيصر لم يحاكم ولم يعملوا معه تحقيقاً ما ومن يفعل ذلك ؟ وانما هو قتل أشنع قتلة .

وماذا يقال عن القيصرة وأولادها والدكتور بوتكن والثلاثة خدام الذين

قتلوا معهم وماذا يهم المجرمين وهم واثقون بانه لايعاقبهم أحد : ذلك لان الرصاصة قتلت والنار التهمت والارض أخفت كل شيء ومن جهة أخرى فانهم مطمئنون كل الاطمئنان لانه لايستطيع أحد منهم أن ينبس ببنت شفة لانهم مرتبطون مع بعض بالوحشية وارتكاب الجريمة ولا عجب اذا قال المأمور فويكوف : « أنه لايستطيع العالم أجمع أن يعرف ما فعلناه بهم »

لقد أخطأ هؤلاء الناس !

فان التحقيق الذي سار عدة أشهر مضطربا دخل في دور العمل وانتقل الى البحث في الغابة . فلم يترك المحققون شبر أرض الا بحثوا فيه وقلبوا الارض ظهراً لبطن فعثروا على البئر وعلى آثار عديدة كشفت الاسرار وأزاحت الستار ووجدوا مئات من الاشياء وعظاماً كانت مدفونة وقد وضعوا قائمة لكل شيء وجدوه : كان بينها : قرطا الامبراطورة وقطع قماش من ملابسها وقطعه من حزام ولي العهد وأزرار ردائه الخارجي وأشياء كثيرة للاميرات كالازرار والحلقات وأسلاك مشداتهن وكل هذه الاشياء تدل دلالة واضحة على عدد الضحايا . وأضف الى ذلك فك أسنان صناعي للدكتور بوتكن وزجاج نظارته وأزرار ردائه وكومة من العظام مشوه بعضها بالحامض الكبريتيك وفي بعضها آثار طعن الحراب الحادة والمناشير التي استعملوها لنشرها وكذلك آثار الرصاص الذي خرقها والرصاص الذائب من حرارة النار . كل هذه الموجودات تدخل الحزن على القلوب بل تقشعر من هول منظرها الابدان ولا تدع أملا لمؤمل بل تدل على وحشية القوم وقساوة قلوبهم . وقد أخطأ المأمور فويكوف فان العالم عرف الآن كل ما فعلوه بهم



الحفر في مكان اخفاء الجثث

وقد ذهب اطمئنان الاشرار عبثاً فان عيار يهم الذين تركوهم في ايكاتيرينبورح لتضليل المحققين واشاعة الاشاعات الكاذبة قد أنبأوهم ان الامر ظهر ووقف الناس على الحقيقة فاضطربوا وارتعشوا وجعلوا يبحثون عن أشخاص يلصقون بهم ارتكاب الجريمة التي ارتكبوها وقد مهدوا القول بالعمل وألصقوا ارتكاب الجريمة بالاشتراكيين والثوار الذين ارتكبوا الجريمة لتعزيز حزب البولشفيك وقد قبضوا في مدينة برم في شهر سبتمبر سنه ١٩١٩ على ٢٨ رجلا أتهموهم بقتل القيصر وعائلته وحاشيته وقدموهم للمحاكمة وحكموا على خمسة منهم بالاعدام رمياً بالرصاص ونفذوا الحكم فيهم .

ان هذه الرواية المذكرة تدل على انحطاط طباع الناس ولحاقهم باخلاق الوحوش الضارية كما تدل على ان المدنية والعلوم لم تلطف الشعور الانساني ولا قادته الى طريق الكمال المطلوب . انظر الى فئة البلشفيك وأتباعها وما ارتكبوه من قتل

الابرياء وسفك الدماء الزكية وارسال الارواح التي لم تقترف اثماً ولم ترتكب اداً الى العالم الثاني والادهى والانكى من كل ماتقدم انهم كانوا يقتلون بأيديهم الاثيمة الناس ويلصقون التهمة بغيرهم ويظهرون انفسهم بمظهر الابرياء ولا سيما في ارتكاب هذه الجريمة التي عدها المؤرخون أعظم جريمة فظيعة ارتكبت في التاريخ

وفي شهر مارس سنة ١٩٢٠ قابلت في مدينة خربين القائدين ديديريخس وسوكولوف حيث قدما اليها بعد سقوط حكومة القائد كولتشاك وكانت حالتهما النفسية شديدة الاضطراب والقلق بسبب سوء الحالة في منشوريا وكانت الاشاعات متواترة بأن الجنود الحمر سيستولون على الخط الحديدي الصيني الشرقي وكانوا ينتظرون ذلك بين ساعة وأخرى وفوق ذلك فان جواسيس البلشفيك انتشروا في تلك الجهات والامر الذي كان يقلق القائدين خوفهم على الصناديق المحفوظة لديهما المحتوية على الآثار التى جمعتها لجنة تحقيق قتل القيصر وعائلته وفي أى مكان أمين يخفيانها

ولهذه الغاية قابل القائدان المذكوران سفير انكلترا قبل سفره الى بكين وطلبا اليه أن يأخذ على عهدته ارسال تلك الصناديق الى أوروبا فقبل طلبهما مبدئياً ولكنه أرسل يستأذن حكومته بذلك وقد أبطأت هذه بارسال الجواب وأخيراً ورد جوابها بالرفض . . . . .

واذ ذاك ذهبت بنفسي الى القائد جانين الفرنسي وطلبت اليه أن يتداخل في الامر ويأخذ على عهدته ارسال تلك المحفوظات الثمينة الى مكان أمين فأجابني فوراً اني مستعد لمساعدتكم وأخذ هذه المسئولية العظمى على نفسي لأنه ليس أمامي متسع من الوقت لمخابرة حكومتي .

«اني أصرح لك انه لا يوجد أحد في هذه الدنيا يقول ان القائد الفرنسي توقف عن اظهار الاحترام لذاك الذي كان حليفاً صادقاً لفرنسا . فاذهب الى القائد ديديريخس وقل له أن يقدم لي طلباً كتابياً بذلك . واذ ذاك أنا آخذ الامر على عهدتي »

فكتب القائد الطلب واتفق مع الجنرال جانين على ارسال تلك المحفوظات الى أوروبا لشخص ذكر له اسمه

وبعد يومين اجتمعت بالقائد ديدريخس وكان لديه ستة من الضباط الامناء والجنرال سوكولوف فحملنا الصناديق على أكتافنا وسرنا بها قاصدين قطار الجنرال جانين الذي كان واقفاً بالقرب من المحطة وقد سرنا متتابعين على مسافات متباعدة حتى لا يلحظنا أحد وقبيل وصولنا للقطار لاحظ الاخيرون منا أن أشخاصاً يتبعونهم وصرخوا بهم قائلين : الى أين أنتم ذاهبون ؟ وماذا تحملون في الاكياس، فلم نجبهم بشيء بل واصلنا السير وأسرعنا الخطوات فأسرعوا خلفنا وأمرونا بالوقوف فلم نرضخ لأوامرهم وعدونا بسرعة فبلغنا قطار الجنرال جانين ولما رآنا حرسه أسرعوا لمساعدتنا

وعلى ذلك زال الخطر وأقمنا في القطار ساعة نرتاح بعد الذي قاسيناه من التعب الشديد ثم انسللنا من القطار الواحد تلو الآخر واختلطنا بركاب القطار الآخر العديدين

وفي اليوم التالي الموافق ١٩ مارس سنة ١٩٢٠ حمل الجنرال ديديريخس صندوقاً يحتوي على آثار العائلة القيصرية وسلمه يداً بيد للجنرال جانين

وبقي علي بعد ذلك ذكر مأساة الابابيف التي لها علاقة شديدة بمأساة ايكاتيرينبورج التي قتل فيها عدة أفراد من الاسرة الامبراطورية وهم :

الغرندوقة اليصابات ثيودوروفنا شقيقة القيصرة والغرندوق سرجيوس ميخايلوفيتش والامراء يوحنا وقسطنطين وايغور أنجال الغراندوق قسطنطين والامير باليي نجل الغرندوق بواص كل هؤلاء قبض عليهم عام ١٩١٨ وأرسلوا الى مدينة الابايفسك الواقعة على بعد ١٥٠ فرست شمال ايكاتيرينبورج

وليلة ١٨ يوليو أي بعد ٢٤ ساعة من ارتكاب جريمة ايكاتيرنبورج دخل عليهم عدة رجال وقادوهم الى مركبة كانت واقفة على الباب وأفهموهم انهم ينقلونهم الى مكان آخر فساروا بهم مسافة ١٢ فرست الى غابة كثيفة حيث قتلوهم جميعاً وألقوا جثثهم في بئر أعدوها لهذه الغاية . وقد وجدت هذه الجثث في اكتوبر سنة ١٩١٨ بسبب انفجار قنابل يدوية كانت باقية هناك من القنابل التي استعملها

الاشرار للفتك بهم وقد ظهر للمحققين من الكشف على الجثث ان الامير سرجيوس قتل وحده رمياً بالرصاص ولكن لم يتوصل المحققون لمعرفة طريقة قتل الآخرين فرجحوا انهم قتلوهم خنقاً والذي قام بقتلهم هو المأمور سافاروف أحد أعضاء مجلس بلاد أورال طبقاً للتعليمات التي صدرت له من موسكو

وكنت أريد ختام الفصل الاول ولكني وجدت انه لا مندوحة لي عن ذكر زملائي في السجن الذين استشهدوا على مذبح الاخلاص للعائلة القيصرية

بعد أن استولى البيض على مدينة ايكاتيرينبورج جعل ولاة الامور يعيدون النظام والسكينة اليها ويدفنون جثث القتلى فعثروا بالقرب من السجن على جثتين ووجدوا باحداهما شكاً بقيمة ٨٠٠٠٠ روبل باسم دلغوروكوف فرجحوا انها جثة الكونت دولغوروكوف ودلت علامات عديدة على أن الثانية كانت جثة الجنرال تاتيشيف وقد قدّر كل منهما انه سيموت تلك الميتة الشنعاء فداء للقيصر وقد قال لي مرة الجنرال تاتيشيف في توبولسك : « أنا عالم بأني لا أخرج حياً من هذا المكان وانما أريد أمراً واحداً وهو أن لا يبعدوني عن مليكي وأن يدعوني أموت معه في يوم واحد » ولكنه مع الاسف لم يحصل على هذه الامنية .

أما الكونتس هندريكوفا والسيدة شنيدر فقد نقلتا من ايكاتيرينبورج الى برم بعد مصرع العائلة القيصرية بعدة أيام وهناك أعدمتا بالرصاص ليلة اليوم الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩١٨ وقد وجدت جثتاهما وعرفتا في مايو سنة ١٩١٩ وهما أيضاً قدمتا نفسيهما ضحية لذلك الذي كانتا تحبانه

وأما خادم ولي العهد البحري ناغورني والخادم ايفان سيدنييف فقد قتلا رمياً بالرصاص في ضواحي ايكاتيرينبورج في أواخر يونيو سنة ١٩١٨ ووجدت جثتاهما بعد شهرين في مكان إعدامهما

جميع هؤلاء الشهداء ابتداء من الجنرال حتى الملاّح قدموا نفوسهم باختيارهم ضحية على مذبح الاخلاص وذهبوا لاستقبال الموت بجرأة وشجاعة . ان الملاّح ناغورني وهو فلاح شريف من اكرانيا كان يكفيه لانقاذ نفسه من الموت الزؤام

أن يلفظ لفظة واحدة وهي انكار القيصر ولكنه أبى عليهم ذلك .

من ترى هم الذين اجتذبوا تلك القلوب اليهم حتى تعلقت بهم ذلك التعلق المدهش الذي يشبه العبادة ودفعوهم الى الجرأة واظهار عظمة النفس بجميع معانيها؟ من هم أولئك الذين أحرزوا هذه الصفات السامية والاخلاق الكريمة الذين استطاعوا كسر حدة حراسهم القساة وتلطيف غلاظتهم وشراستهم ؟ نعم نعم هم أولئك الذين أريد أن أحيي ذكرهم بما أرويه عنهم من الروايات الثابتة الصادقة . أولئك الذين أريد ان أصفهم وصفاً صادقاً وأصورهم للناس بصورتهم الحقيقية كما يصور الرسام الماهر ما يقع تحت نظره من المناظر. سأقدمهم للناس كما عرفتهم بنفسي وكما أخلصت لهم المحبة .

الفصل الثاني

القيصر وأهل بيته قبيل الثورة

ان مأساة إيكاتيرينبورج كشفت القناع عن طباع البشر وما يخبئونه في نفوسهم من الشر وما تطبعوا به من الوحشية وان ما يظهرونه من أمارات المدنية ما هو الا غشاء خفيف مزخرف يخفي تحته أشر الطباع وأشرس الاخلاق ويظهر جلياً ان كلاً من هؤلاء الاشرار مهما حاول التجمل بالآداب والتأنق في الخلال فان الشر كامن في فؤاده كون النار المخبوءة في الرماد اذاحركها محرك التهمت اليابس والاخضر لان المجزرة التي حدثت في ايكاتيرينبورج لم يذكر لنا التاريخ أفظع منها في أشد عصور الناس الهمجية والوحشية فلا يفخرن الانسان بعدها و يدعي برقة الشعور ودقة العواطف

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان

وقد أردت ايضاح تفاصيل تلك المجزرة وذكر أسبابها وأسرارها من قبل حدوث ثورة عام ١٩١٧ فأقول :

تسارسكويه سيلو ضاحية جميلة جداً واقعة على بعد ٢٠ فرست تقريباً من

بتروغراد وفي أعلى جهة فيها قائم قصر كبير فخم تحيطه العظمة والجلال وتكتنفه المهابة والوقار اتخذته الامبراطورة كاترينا الثانية محلاً لاقامتها وكانت تفضله على جميع قصور العاصمة الفخمة الجميلة . وعلى مسافة قريبة منه قام قصر آخر أصغر وأقل فخامة منه وسط حديقة غناء فيها ثلاث بحيرات صغيرة تظللها الاشجار الظليلة الكثيفة التي يعجز أمهر الواصفين عن وصف جمالها الفتان الذي يأخذ بمجامع القلوب ويفتن الالباب ويدعى ذلك البناء قصر اليكساندروفسكي اتخذه القيصر نقولا الثاني مكاناً لاقامته مع عائلته بعد الحوادث المحزنة التي حدثت في يناير سنة ١٩٠٥

وكان القيصر والقيصرة يقيمان في الدور الاول من هذا القصر ويقيم أولادهما في الدور الذي فوقه وجعل أحد جناحيه للمقابلات الرسمية والغير الرسمية وأقامت الحاشيه في الجناح الآخر المقابل لهذا . اختار القيصر هذا القصر الصغير لاقامته مع عائلته لبعده عن ضوضاء العاصمة وغوغائها ولموافقته من جهة أخرى لعيشته الهادئة لانه كان يميل بفطرته الى عيشة الهدوء والسكينة

وفي شهر فبراير عام ١٩٠٦ رأيت في هذا القصر لاول مرة ولي عهد القيصر وكان له من العمر عام ونصف . وكان قد عهد الي قبل هذا بستة أشهر تدريس اللغة الفرنسيه للأميرتين أولغا وتاتيانا كريمتي القصر . وفي اليوم المذكور آنفاً حضرت كعادتي لقصر اليكساندروفسكي وبعد انتهاء درس الاميرة أولغا دخلت علينا القيصرة حاملة ولي العهد وتقدمت اليّ قاصدة أن تريني ابنها الذي ما كنت رأيته بعد . واني لا أقدر أن أعرب عن السرور الذي كان مستحوذاً على القيصرة وما كان أعظم ابتهاجها ببلوغ أمنيتها المنشودة بولادة ولي العهد بعد وضعها أربع بنات وكانت أمارات السرور والفرح تماوج على وجهها وعلامات السعادة تتلألأ على محياها البسام ابتهاجاً بابنها وافتخاراً بجماله والحق يقال فان ولي العهد كان على جانب عظيم من الجمال الفتان وله شعر أشقر مسترسل كأسلاك ذهبية لماعة وله عينان نجلاوان زرقاوان براقتان تتدلى فوقهما أهداب طويلة . وله وجه مستدير نضر مورد الوجنتين واذا ابتسم ظهر عليهما غمازتان تأخذان بمجامع القلوب أما جسمه فانه مملوء

صحة وعافية ولما دنوت منه ألقى عليّ نظرة الخائف و بعد مداعبتي اياه مدّ اليّ يده اللطيفة الرخصة

وفي هذه المقابلة الاولى رأيت كيف ان القيصرة تضم الى صدرها بلطف ذلك النجل المفدى وكيف انها كأم بارة تحافظ على حياته وكأنها كانت تقول له اني أفديك بحياتي ومع كل هـذا فانها لم تستطع اخفاء علامات الاضطراب البادية على وجهها وفي حركاتها وسكناتها ذلك الاضطراب الصادر من صميم فؤادها الامر الذي جعل الدهش يستولي عليّ ولم أقدر أن أفهم سبب ذلك الاضطراب الا بعد مدة طويلة . وفي السنين التاليـة كنت أراه كثيراً فانه كان يتملص من خادمه الخاص ويدخل غرفة التدريس التي كنت أدرس فيها شقيقتيه ولـكنه كان أحيانًا ينقطع عن زيارتنا ويمكث مـدة طويلة لاأراه فيها . وفي كل مرة ينقطع فيها عن الخروج من حجرته كان يلقي الحزن العميق في نفوس قاطني القصر وقد بدت آثارالشديدة على وجوه تلميـذتي شقيقتيه وكانتا تحاولان عبثًا اخفاء حزنهما عني فسألتهما مراراً عن سبب ذلك فكانتا في كل مرة تجتهدان في اجتناب الحديث وتجاوبان أجوبة لاتفي بغرض السائل كقولها ان أخاها منحرف الصحة قليلا ولكني وقفت من مصادر أخرى ان ولي العهد مصاب بداء عضال لم يستطع أحد أن يخبرني عن ماهية ذلك المرض .

وفي خريف سنة ١٩١٣ عهد اليّ بتدريس ولي العهد اللغة الفرنسية وبعد هذا التاريخ أخبرني الدكتور ديرفينكو بمرض ولي العهد وانه المرض المسمى (هيموفيليك) hémophiliques وهو داء عضال يأتي من طريق الوراثة و ينتقل في بعض العائلات من جيل الى جيـل عن النساء الى أولادهن الذكور فقط . وعلى ذلك فان الرجل وحدهم يذهبون ضحية ذلك المرض الوبيل وزاد الدكتور في الايضاح فقال . ان أخف

جرح يسبب موت الطفل ذلك ان دم المصاب بالهيموفيليك خال من خواص الانحلال (والسيلان) كالدم الطبيعي وفوق هذا وذاك فان نسيج الموضع المصاب بالمرض رقيق جدا حتى ان أخف صدمة أو عثرة أو هزة عنيفة تسبب انفجاراً يعقبه نزيف دم شديد الخطر . هـذا هو الداء المصاب به ولي العهد والذي يهدده بالخطر وكان كثيراً ما يصاب بضعف القوى وانحطاطها ونزيف أنفي وآلام حادة تنذر بالموت العاجل . وكان محاطاً بعناية تامة ليس بعدها زيادة لمستزيد ولا سيا في سني حياته الاولى وجميع من حوله يقظون متنبهون لاقل حادث يحدث له لاتخاذ الاحتياطات السريعة لملافاته فعينوا له بأمر الطبيب خادمين أمينين من ملاّحي اليخت القيصري أحدهما بوتمان ديريفينكو ومساعده ناعورني فكانا يتناوبان ملاحظته والاعتناء به

ومع الاسف أقول ان كل الاحتياطات الشديدة والعنايات العديدة لم تجد نفعاً وبعد مرور عدة أسابيع على تعييني مدرساً له مرض بسبب سقطة عنيفة سقطها على الارض فحدث له نزيف دم شديد من ركبته اليسرى ثم عقبه ورم غطى الرجل كلها حتى أسفلها فتمدد الجلد كثيراً وقسا تحت ضغط الدم الجاري في الداخل الذي ضغط على شرايين الرجل وسبب للغلام آلاماً لا تحتمل كانت تزداد زيادة شديدة . أما الأم فانها لازمت سريره ملازمة الظل منذ اشتداد الازمة وكانت تنحني عليه وتداعبه وتلاطفه باذلة كل ما في وسعها لتخفيف آلامه . أما القيصر فانه كان ينتهز كل دقيقة فراغ ويحضر الى غرفة ابنه ويلاطفه ويحاول تشتيت أفكاره وتحويلها الى شيء آخر ولكن الالم كان أشد من مداعبة الوالدين وان الانين الذي كان ينقطع لحظة يعود مصحوباً بصراخ يفتت الاكباد ويذيب الجماد . وكانت شقيقاته تدخلن بين حين وآخر غرفته خلسة ويقبلنه قبلات المحبة والحنان فكان يفتح عينيه الحاطتين بزرقة المرض ثم يعود فيغمضهما



ولي العهد المريض ووالدته عند سريره

وذات مرة صباحاً الفيت الام واقفة عند رأس ابنها بعد ليلة قضاها في العذاب والآلام وألفيت الدكتور ديريفينكو مضطربا لانه بذل كل مهارته لايقاف نزيف الدم فلم يجد لذلك سبيلا وفضلا عن ذلك فان حرارة الغلام ارتفعت وازداد الورم وأمست الآلام مما لا يستطيع أحد احتماله فكان الطفل يتقلب على فراش الآلام ويئن أنينا يمزق القلوب وقد أسند رأسه على كتف أمه ولم أستطع أنا أن أعرف وجه الغلام الصبوح المورد الذى كان الدم يكاد يفيض منه بالامس . وكان بين حين وآخر يقطع الانين ويهمس تلك اللفظة العذبة « ماما » التي كان يعرب بها عما يقاسيه من الآلام والجهد وأما أمه فانها كانت تحييه بتقبيل شعره وجبهته وعينيه . وابتسامة شفتيها كانت كالمغنطيس تسري في عروق ذلك الطفل المتألم وترجع اليه الحياة التي ذهبت عنه

وما كان أشد آلام وتماسة تلك الوالدة المنكودة الطالع التي كانت تقضي الساعات تلوالساعات وهي غارقة في بحر الآلام لرؤيتها نفسها غيرقادرة على اسعاف ابنها

وتخفيف عذاباته وكادت تلك المسكينة تذوب حزناً وأسىً عند ماترى ان ابنها يتعذب بسببها وأنها هي بنفسها دفعت اليه ذلك المرض الذي عجز العلم عن معالجته . وأدركت أنا في خلال مراقبتي لذلك المشهد المؤلم المؤثر كنه تلك العيشة المحزنة وتصوّرت أمام عينيّ ذلك الطريق الطويل المؤدي الى الجلجلة

ولا يعجب القارىء من تسطيري في مذكراتي اليومية تفاصيل أخبار مرض ولي العهد فان ذلك لا بد لي منه لأن ذلك المرض كان سبباً في ظهور رسبوتين الذي لعب دوراً مهماً في تلك الحوادث التي أدت في الختام الى نهاية ملك نقولا الثاني.

وما كان أعظم وأشد سرور القيصر والقيصرة قبل تسعة أعوام لدى ولادة ولي العهد ذلك الابن الحبيب الذي انتظراه بفارغ الصبر ولا أغالي اذا قلت ان ولادته بددت جميع الاحزان والتذكارات السابقة المؤلمة . أجل نسياها بالمرة وفتحت لهما السعادة بابها على مصراعيه . ولكن وا أسفاه فان هذه السعادة كانت كسحابة صيف حيث عقبتها شؤون مؤلمة وحوادث محزنة منها (أولاً) هيجان العمال وثورتهم في شوارع بطرسبرج في ٩ يناير عام ١٩٠٥ تلك الثورة التي جرى فيها الدم كالأنهار وكان مجرد ذكرها في مخيلة القيصر والقيصرة بمثابة غول ارهاب ونذير شر (ثانياً) الحرب اليابانية التي لا ينسى أحد نتائجها المؤلمة لروسيا وكانت تعزيتهما الوحيدة في هذه الايام السود — ابنهما الوحيد الحبيب — ولكن أواه ثم أواه فان هذا الابن المفدى وذلك الحبيب قد أضاع آمالهما وسحق قلبيهما سحقاً بمرضه بالهيموفيليك ومن هذا الحين أمست عيشة الام عبارة عن سلسلة أحزان متصلة الحلقات ذلك لأن المرض المذكور كان معلوماً لديها وكانت تعلم أيضاً أن عمها وأخاها واثنين من أفراد عائلتها ماتوا بالهيموفيليك . ومنذ حداثتها كانت تسمع عن هذا المرض أحاديث مخيفة منها ان قوى الناس ومهارتهم تتلاشى أمامه والآن فان ابنها — ذلك الطفل الوحيد الذي تحبه أكثر من كل شيء في هذه الدنيا مريض بهذا الداء الفتاك وان الموت يحرسه ويمشي وراءه خطوة وسيأتيها يوم تحمله كما حملوا من قبل كثيرين

من أولاد أسرتها . ولـكنها اتخذت من الضعف قوة وحاولت مصارعة ذلك الداء وبذل الوسائل لانقاذ فلذة كبدها وكانت تدور في خلدها أفـكار مضطربة تطرد بعضها بعضاً وكانت تناجي نفسها قائلة : من المستحيل أن يكون العلم ضعيفاً أمام هـذا الداء . وان الدواء الذي يشفيه موجود ويحتمل انهم يجدونه اذا بحثوا عنه . وفعلا دعا القيصر جمهوراً كبيراً من الاطباء والجراحين وأساطين الفن فعقدوا الاجتماعات المتوالية وتداولوا وتشاوروا ولـكن جميع مجهوداتهم ذهبت أدراج الرياح

وأدركت الام بعد هذا انه ليس في وسع الناس شفاء ابنها وعبثاً ترجو منهم المساعدة فاتجهت بكليتها نحو الاتـكال على الله العلي العظيم وقالت هو وحده يستطيع عمل أعجوبة ولـكي يظهر هذه الاعجوبة يجب ارضاؤه بالتعبُّد

وبقطع النظر عن هـذا كانت القيصرة على جانب عظيم من التقوى وحسن العبادة والتمسك بالدين الارثوذكسي القويم الذي قبلته عن عقيدة راسخة واستسلمت اليه بكليتها ولما تسلطت عليها فكرتها الاخيرة بشأن شفاء ابنها اندفعت بكليتها الى العبادة وعيشة التقشف وتحول القصر بعـد ذلك الى بيت عبادة صحيحة وغدا المقيمون فيه جميعهم يعيشون عيشة التوحد والنسك فـكانوا يتجنبون اقامة السهرات الحافلة والحفلات الرسمية بقدر الامكان وبالتدريج أصبحت عيشة العائلة القيصرية عيشة انفراد وعزلة واجتمعوا حول بعض وعقدوا اتفاقاً متيناً على ارضاء الله سبحانه وتعالى بالصوم والصلاة والعبادة وخدمة ولي العهد قبلة أنظارهم ومادة سعادتهم

وكان ولي العهد أحياناً يصحّ ويعود اليه النشـاط وينسى آلامه وينطلق الى العابه وفي هذه الفترة لا يخطر ببال أحد أن في هذا الجسم النشيط داء مستـكناً عسر الشفاء وفي كل مرة كانت تراه القيصرة على هذه الحالة المسرة وترى خديه مكسوتين بحمرة الصحة وتراه يداعبها بحركاته الصبيانية اللطيفة يخفق فؤادها سروراً وابتهاجاً وتتجدد الآمال في فؤادها وتناجي نفسها بقولها : « لقد سمعني الله وتحـنن أخيراً على حزني وتعاستي وجـبر كسر قلبي » ولـكن ما هي الا أيام معدودة حتى يعود اليه المرض ويطرحه في هوة الآلام والعذاب ويترك الموت عنه قاب قوسين أو أدنى.

كانت الاشهر تمر سراعاً والحزن يأتي تباعاً والاعجوبة المنتظرة لم تظهر واصابات ولي العهد القاسية تتوالى متتابعة وجميع الصلوات الحارة الصادرة من قلب ملتهب بالايمان لم تجلب نعمة الله المنتظرة الامر الذي أوقع القيصرة في اليأس الشديد حتى خيل لها انها أتعس شخص في هذا الوجود الفاني وان العالم أجمع تنحى عنها

وفيما كانت على هذه الحالة النفسية التعسة أحضروا اليها فلاحاً سيبيرياً ساذجاً يدعى رسبوتين ولما مثل بين يديها خاطبها قائلا : « آمني انه ستجاب صلواتك ويتم لك ما تريدين . آمني بقوة إلهي القادرة وابنك يشفى لا محالة » فتمسكت الام بكل قواها بهذا الامل كما يتمسك الغريق بالعود الرفيع وصدقت كلامه بكل قوتها النفسية واعتقدت بأن هذا الفلاح الوديع مرسل اليها من الله ليشفي ذاك الذي وضعت الامة كل آمالها فيه . ثم أن ايمانها الوطيد وقلبها المنسحق فعلا ما حدث بعد . وقد اعتقدت اعتقاداً لا يتزعزع أن حياة ابنها متعلقة بوجود ذلك الرجل الى جانبه.

أما رسبوتين فانه أدرك تمام الادراك مركزه السامي وتمكن بدهائه ومهارته من الدخول في نفس تلك الام الحزينة التي أوصلها الحزن الى درجة اليأس والقنوط وعرف كيف ينتهز الفرصة لجر الغنائم الى نفسه وبما أوتيه من الدهاء الشيطاني استطاع جعل حياته معلقة بحياة الطفل ولبس هذا بالشيء القليل في قصر القيصر نقولا الثاني.

ولايضاح حالة تأثير رسبوتين الاخلاقية على القيصرة يجب أن نوقف القارىء على تلك المنزلة السامية التي يتمتع بها رجال الدين الارثوذكسي في روسيا أو ما يسمونهم بعرفهم شيوخ الدين الذين ما زال مركزهم ثابتاً فعالا الى يومنا هذا وأشد من تأثير الشيوخ في النفس تأثير الكهنة والرهبان . والروسيون على الاطلاق يعتقدون أن الله يوحي الى « الشيخ » ويلهمه قيادة الشعب الى طريق الخلاص .

« الشيخ الديني » هو ظل الله في أرضه ومالك أزمة الكمال والحقائق. وهو دعامة التقليد المقدس الذي يجب أن يسلمه الشيخ السلف الى الشيخ الخلف الى أن تجيء مملكة الحق والنور الابدية . وكثيرون من هؤلاء الشيوخ الدينيون ارتفعوا في

عصرهم الى درجة الكمال الديني في نظر الناس فقدسوهم وأدخلوهم في سلك قديسي الكنيسة الارثوذكسية

سبق لنا القول ان القيصرة قبلت الديانة الارثوذكسية عن عقيدة راسخة في نفسها لموافقتها لأميالها الروحية ولاعجابها بطقوسها واحتفالاتها الدينية الفخمة و بناء على ذلك فانها اعتقدت بأن رسبوتين شيخ ديني حائز لجميع صفات الكمال والقداسة

وفي خلال مرض ولي العهد الذي غدا كالكابوس الضاغط على حياة العائلة القيصرية كان نفوذ رسبوتين يزداد بسرعة عجيبة أدهشت أولئك الذين يجهلون أسباب هذا النفوذ

ان قلمي ليعجز عن تصوير تلك المحبة الخالصة المتجسمة بين أفراد العائلة القيصرية . وقد وجهوا جميعهم هذه المحبة الى ولي العهد الذي أحبوه لدرجة العبادة وعند ما كان يتماثل للصحة تتجلى في القصر مظاهر السرور والانشراح وتدب فيه حياة منعشة لنفوس ساكنيه و بعبارة أخرى كان ولي العهد كشعاع الشمس ينير كل شيء و ينعش الجماد والحيوان والانسان

كان ولي العهد أليكسي نيقولاييفتش غلاماً شديد الذكاء خفيف الحركة وضاح الجبين بشوشاً لطيفاً يجذب اليه كل من يقع نظره عليه . وكان بطبيعته بسيطاً بعيداً عن الكبرياء والعظمة والتظاهر بالمجد والسؤدد وما خطر بباله يوماً أن يتيه عجباً و يشمخ بأنفه الى السماء لكونه ولي عهد الامبراطورية الروسية الضخمة وكانت سعادته تنحصر في اللعب مع أولاد الملاّح الصغار ذلك الملاح ديريفينكو خادمه الخاص . وكان الغلام خاضعاً لابيه يقلده في جميع حركاته وسكناته · وقد وهبته الطبيعة بنية صحيحة ولكن المرض حال دون نموه وعلى أثر كل نوبة تصابيه يوجهون اليه عناية خاصة عدة أسابيع بل عدة أشهر · ثم ان كثرة نزيف الدم تسبب له ضعفاً في جسمه وانحطاطاً في قواه فيمنعونه من كل عمل متعب ولاسيما العمل العقلي و بناء على ذلك كان تعليمه صعباً مع انه أوتي ذكاء مفرطاً للغاية .

أما شقيقات ولي العهد فانهن كن فتنة للناظرين بما أوتينه من صحة جيدة وما

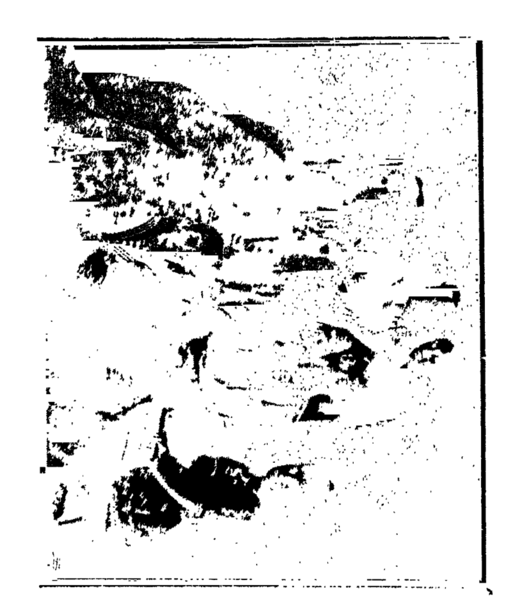
اشتهرن به من الاخلاق الكريمة والآداب الباهرة وبساطتهن المتناهية . وقد اشتهرت كبراهن الغراندوقة أولغا بذكاء خارق وعقل راجح ولكن على وجه العموم لم تحرز كريمات القيصر قسطاً وافراً من العلوم بداعي ان والدتهن كانت في بدء الامر تلاحظ عن كثب تعليمهن ولكنها في كثير من الاحيان تضطر الى ترك هذه الملاحظة بسبب انحراف صحتها ثم انحراف صحة ولي العهد فانه عند مايصاب بنوبة عنيفة تلازم سريره وتندفع بكليتها لخدمته وملاحظته حتى انها لم تكن تشفق على نفسها فاذا ما تعافى تكون قد أنهكت قواها فتلازم الجلوس على مقعد ساعات طويلة وأياماً متوالية لتأخذ نصيبها من الراحة

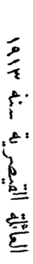
ان القيصرة كزوجة وأم كانت تحب زوجها وأولادها حباً مفرطاً ولا تشعر بالسعادة الا في خلال وجودها بينهم . وكانت متربية تربية عالية جداً وأحرزت قسطاً وافراً من العلوم والفنون الجميلة تقضي أوقات فراغها في مطالعة الكتب الممتعة ولها رسوم جميلة تأخذ بمجامع الالباب وفازت على غيرها في معارض الزخارف والفنون وفوق هذا وذاك فانها تجملت بصفات حميدة وسجايا فريدة قلما توجد في امرأة وتحلت باخلاق كريمة وآداب باهرة وفطرت بطبيعتها على حب العزلة والابتعاد عن الملاهي وتجنب حضور الليالي الراقصة مااستطاعت الى ذلك سبيلا وكانت لها نفس طاهرة وأميال نزيهة وهمها الوحيد منحصر في اسعاد ذويها ولكن الآلام المتواصلة والعذابات المتتابعة سحقت فؤادها ونفسها فجعلتها في أيام حياتها الاخيرة مشتتة الفكر مستسلمة للاحزان والاقدار لدرجة يصعب تصورها

لا أنكر انها في أواخر أيام ملك نقولا الثاني أخذت تتدخل في الامور السياسية وانما فعلت ذلك لاحباً بالمجد والرئاسة كما اتهموها بل لانها رأت ان واجباتها تقضي عليها بمساعدة زوجها الذي كان ينوء تحت عبء الاثقال السياسية التي انهالت عليه في العهد الاخير ولا أخفي أيضاً انها كانت تواصل الاعمال حتى

تستنفد كل قواها وتصبح في حالة من الضعف تحتاج معها الى الراحة ولكنها كانت تضحي راحتها في سبيل ما تعتقد انه واجب . وليتصور القارىء حالة امرأة أمامها زوج تحبه لدرجة العبادة قد أنهكته أعمال استغرقت كل أوقاته من مطلع الشمس حتى آخر ساعة من الليل وأمامها ابن وحيد محبوب أنهكه مرض عضال فأ كل لحمه وأذاب شحمه ودق عظمه . أجل لعمري انها حالة شديدة التعاسة ومع ذلك فانها ما كانت ترتاح ساعة فضحت صحتها ووقفت نفسها على مساعدة زوجها واسعاف وحيدها . ولاعتقادها الراسخ ان العائلة المالكة لا يستتب لها الملك ولا تتوطد دعائمه الا بتعضيد الشعب وحياة ولي عهده وان رسبوتين اناء الله المصطفى وان الله يوحي اليه بارادته وقد أرسله اليها لشفاء ولي العهد الذي يتوقف على حياته مستقبل المملكة وكان تأثيرها على القيصر بهذا المعنى شديداً وخيم العاقبة . وقد أوجدت من السياسة مسألة شخصية محضة دفعها اليها شعورها ومحبتها لدوام ملك زوجها وابنها من بعده فكانت بهذا المعنى تطاق لا ميالها العسان وفوق هذا وذاك فانها أخلصت لوطنها اخلاصاً شديداً لاتشوبه شائبة . هذه حقائق راهنة وقفت عليها بنفسي أسطرها للتاريخ وأرى ان الذمة والضمير يقضيان بالتصريح بها

ومن سوء حظ نقولا الثاني انه بدأ ملكه في بدء القرن العشرين وهو أشد الازمنة اضطرابا مما لم ير التاريخ مثله وكان رجلا يصلح للملك في غير ذلك العصر المضطرب فان الله وهبه صفات سامية وقلباً رؤوفاً حساساً وكانت الاخلاق الروسية متمثلة فيه كل التمثيل ومجسمة كل التجسم فلا يحب الا العادات الروسية ولا يميل الا لكل شيء روسي وغير ذلك كان في نظره مستهجناً غير مألوف وكان طيب القلب لين العريكة وديعاً متواضعاً شريفاً نزيهاً عبداً لكلمته فاذا ما قال قولا أو وعد وعداً ينفذه بكل قواه




العائلة القيصرية سنة ١٩١٣

أما اخلاص القيصر الشديد لحلفائه فانه كان سبباً لموته تلك الميتة الشنعاء . كان يحتقر المفاوضات السياسية ولم يكن مستعداً تمام الاستعداد للصراع السياسي لذلك ضغطت عليه الحوادث فوقف أمامها حائراً مضطربا . وكان يحب عائلته حباً جماً ويتمنى من صميم فؤاده أن يعيش معها منفرداً منعزلا عن جو السياسة المضطرب وجو الاجتماعات العامة معتقداً ان في ذلك السعادة التامة التي ليس بعدها سعادة ولكنه بدون تذمر قبل نصيبه في هذه الحياة وقبل أيضاً بكل خضوع ذلك الصليب الذي وضعه الله عليه . كان القيصر يحب شعبه ووطنه بكل قلبه ونفسه وقوته ولا سيما شعبه الساذج ووضع خطة ناجحة لتحسين حالة الفلاحين وكان طول حياته يحب

التقرب من شعبه والاختلاط به ولكن المقربين اليه لأغراض في نفوسهم كانوا يقفون سداً منيعاً بينه وبين شعبه

ان القيصر لم يخضع مطلقاً لتأثير رسبوتين . وما كان يميل اليه ولكنه خشية ان يكسر الايمان الراسخ في قلب القيصرة به — ذلك الايمان الثابت الذي جعلها تستمد منه رجاء الحياة ـ جعل القيصر يحترم ذلك الشيخ احتراماً محفوفاً بالتحفظ الشديد ولكنه في أواخر أيامه عند ما رأى نفسه محاطاً بمصاعب جمة ومشاكل عديدة وقد انفض من حوله جميع المخلصين له أدرك حقيقة الامر فكره ذلك الشيخ الدجال

ولما حدثت حوادث سنة ١٩١٤ كان رسبوتين في سيبيريا فسألته الامبراطورة رأيه في اشهار الحرب فأجابها بما يأتي : اذا كنتم تريدون ابعاد المصائب والعواقب الوخيمة عن المملكة يجب عليكم بذل كل المجهودات لاجتناب الدخول في هذه الحرب الطاحنة » وقد وافق جوابه أميال القيصر الميال بطبيعته الى حب السلام واجتناب الحروب ولكن تعنت ألمانيا وحبها للمجد الكاذب قادت القيصر رغما عنه الى الدخول في الحرب وقد أظهر نشاطاً غير معهود فيه فسافر الى موسكو في شهر أغسطس سنة ١٩١٤ حيث قابله الشعب مقابلة فخمة وأقاموا له الاحتفالات الشائقة أعربوا له فيها عن شدة الاخلاص والحب المزيد ولكن سوء الطالع لم يغفل ودنت تلك الساعة المنحوسة عام ١٩١٥ التي تقهقر فيها الجيش وظهر ضعفه وعدم انتظامه وظهر عجز الحكومة عن مده بالميرة والذخيرة .

فعزم القيصر في صيف ١٩١٥ بتأثير القيصرة على تولي قيادة الجيش العامة وقاده الى هذا العزم سببان : ارجاع القوة المعنوية للجيش بوجوده بينهم واعادة ثقتهم به . والقضاء على المؤامرة التي أشاعوا عن وجودها في المعسكر العام وكان القصد منها ابعاد الامبراطورة عن البلاط وزجها في أحد الاديرة .

رأى القيصر حرج الحالة السياسية في بلاده ورأى أنه محاط بالدسائس فصحت عزيمته على السفر الى المعسكر العام مع ما في ذلك من تحمل المشاق والمتاعب وفعلا فانه سافر الى موجيلييف ونزل في بيت والي المدينة وكان يعود الى تسارسكو يه سيلو

بعد أربعة أو خمسة أسابيع للنظر في شؤون المملكة وصرح بأن فراق عائلته يضايقه جداً لأنه بفراقها يحرم أعظم تعزية في حياته ولا سيما في تلك الظروف الثقيلة . وقد لحظت القيصرة ذلك وأشارت على زوجها بأن يصطحب معه ولي عهده فوافقها وعليه فقد فارقت الام ابنها لأول مرة في حياتها ولا أستطيع وصف حالتها النفسية المحزنة لدى سفر وحيدها فقد بكت بكاء مراً وأغمي عليها وأخيراً التفتت اليّ وقالت لي أرجوك يامسيو جيار أن تخبرني يومياً عن العزيز اليكسي وقد قمت بهذا الواجب طول مدة اقامتنا في المعسكر

ولعدم وجود محل مناسب أنزل القيصر ابنه في غرفته وكان يأخذه كل يوم للرياضة والمعسكر العام ليريه للجنود عند ما يزحفون للحرب . وفي أثناء اقامة ولي العهد في موجيلييف توقف سير دروسه وازدادت صحته سوءاً ولا غرابة في ذلك فان مناظر الجنود الموتى وأنين الجرحى تسحق القلب وتؤثر في النفس تأثيراً مؤلماً والحزن يأكل القلب كما يأكل الصدأ الحديد كل ذلك أثر في جسمه الرخص فأصبح الغلام مشتت الفكر ضيق الصدر قليل الصبر لا يميل الى عمل من الاعمال وقد قدمت ملاحظاتي هذه للقيصر فرآها وجيهة جداً وقال : لقد لحظت كل ذلك وأرى انه أمام هذه المضار التي يتحملها الغلام منافع لا تنكر فانه يبتعد عن الوحدة والعزلة في البلاط وأهم من هذه وذاك انه يرى فظائع الحرب وما تجره على الناس من المصائب والويلات فترتسم في فؤاده ولا تزول منه طول أيام حياته فيشب كارهاً للحروب ناقماً على الذين يثيرونها وفي ذلك ما فيه من الفوائد للبلاد والعباد

وكانت القيصرة تحضر بين حين وآخر مع كريمتها الى موجيلييف ويقمن في القطار ويشتركن معنا في الرياضة فاذا ما جاء المساء يذهب اليهن القيصر ويقيم معهن جزءاً من السهرة . وفي النهار كانت القيصرة وكريماتها يزرن الجرحى ويواسينهم برقيق الكلام ويقدمن لهن الحلوى والتبغ ويزرن أيضاً منازل العمال ويلاطفن أولادهم ونساءهم



الاميرات اولغا وتاتيانا وأناسطاسيا يزرن عائلات
عمال السكة الحديد في موجيلييف

مضى الصيف على هذه الكيفية وقد أحرز الجيش الروسي بعض الانتصارات ولكنه اضطر لقلة الذخيرة والميرة أن يتخذ خطة الدفاع. وكان القيصر ينتظر بفروغ صبر انجاز الحلفاء لوعودهم العديدة بارسال كميات وافرة من المهمات العسكرية والمواد الغذائية للجيش ولكن ذهب انتظاره عبثاً ومن جهة أخرى كانت مجاري الامور السياسية تسير من رديء الى أردأ حتى أصبحت متعقدة تنذر بحدوث حوادث فجائية تجر وراءها شراً مستطيراً . فقد سئم الجيش الحرب وعجزت البلاد عن تحمل أوزارها وأثقالها وأينما سرت لا تسمع الا أصوات التذمر من قلة المواد الغذائية وغلاء أثمان الموجود منها ومع وجود الرقابة الشديدة على الصحف فقد أخذت تنشر مقالات شديدة اللهجة تسلق الحكومة بها بألسنة حداد . وأشهر مجلس الدوما الحرب على الحكومة متهماً اياها بالتقصير وارتكاب الاغلاط الحربية الفظيعة في بدء الحرب

محاولا القاء المسؤولية على عاتقها . وكثر سقوط الوزارات فلا تكاد تتألف الوزارة حتى تسقط سقوطاً عظيما وكثرت الاضطرابات الداخلية وعلت أصوات السخط من كل جهة واتفقت جميع الآراء على وضع حد لنفوذ رسبوتين الذي وجهت اليه عبارات السخط واللعنات من كل جانب . وعده الجميع مستشاراً شريراً للبلاط بل عدّوه عدواً لدوداً للروسيين ووضعوا على عاتقه مسؤولية ما حلّ بالبلاد من المصائب والنوائب . ووجهوا اليه أشنع التهم فقالوا انه خليع ماجن وفاسق شرير ورووا عنه روايات لا مثيل لها الا في الحكايات الخرافية وقالوا عنه انه رجل جبل من طينة الفساد والخنا وانه أهل لارتكاب كل رذيلة وانه لا يرى عاراً في اقتراف الموبقات وارتكاب المنكرات ورأى فيه آخرون صورة الشيطان الخناس الذي يوسوس في صدور الناس وزعم فريق آخر أنه المسيح الدجال الذي يعتقدون أن مجيئه المنتظر على الارض يكون مسبوقاً بالويل والثبور وعظائم الامور والمصائب والاهوال. هكذا كان الروسيون يرمون رسبوتين بالتهم العديدة ويروون عنه روايات متباينة وحكايات متناقضة

اذن من كان هذا الرجل ؟ وما هي حقيقة أمره ؟ ؟ ؟

اني وثقت بل جزمت بأنه رجل استعبدته الشهوات الفاسدة . وانه يملك قوة بسيكولوجية على بعض الافراد . بحيث اذا أراد أخضعهم لارادته فيملك زمام ارادتهم وأميالهم ومثل هذه الهبة الطبيعية تكون سلاحاً ثميناً في أيدي الذين يستعملونها في الوجوه المشروعة والاميال الطاهرة الصحيحة . ولكن رسبوتين استعمل تلك القوة النفسية الشديدة التأثير على الغير في طرق منحرفة معوجة . فكان لا يستقرّ على حالة واحدة فتراه أحياناً خاضعاً لتأثير شهواته النفسية وطوراً يخرج عن حد المعقول ويندفع في الشعوذة واذا ما جاء الليل ينهمك في الفساد ويعتريه أحياناً ذهول شديد فلا يدري ماذا يفعل وأحياناً أخرى يعتريه ذهول ديني فيقضي ساعات متواصلة يتمم الصلوات وينشد الاناشيد الروحية . وله ارادة قوية وعزم ثابت لا يتزعزع لم يؤثر فيه أحد من الناس وكان يلبس لكل حالة لبوسها ويسير بحسب ظروف الاحوال

فاذا اضطرته الظروف يلبث عدة أيام وليال لا يشرب خمراً ولا يرتكب أدأ وكان من جهة أخرى حريصاً على حفظ مركزه وسمعته فاذا دخل البلاط الروسي يتظاهر هناك بالصلاح المطلق والتقوى المتناهية حتى لا يجعل أهل البلاط يلحظون منه أمراً معيباً أو نقيصة تدعو الى تغيير اعتقادهم فيه فلا يشرب في البلاط خمراً واذا دعوه الى تناول كأس على الطعام يرتعش كعصفور بلله القطر و يظهر الاشمئزاز والانفة الى حد هذا الدرجة كان يحافظ على نفسه في البلاط خوف السقوط والفضيحة والعار وهذه شهادة حقة أشهدها أمام الله والتاريخ وحقيقة ثابتة أقررها ولا أخشى في ذلك لومة لائم

أقمت في البلاط القيصري ثلاثة أعوام قريباً من غرفة ولي العهد وقد استطعت في خلال هذه المدة أن أرى رسبوتين وجهاً لوجه مرة واحدة في فناء القصر وتمكنت من رؤيته فكان طويل القامة . ذا وجه نحيف ضئيل وذا عينين زرقاوين يعلوهما حاجبان كثيفا الشعر جداً . وكان يرتدي قميصاً روسياً من الحرير الازرق وسروالا واسعاً وحذاء طويل الساق

كان رسبوتين لا يكثر التردد على البلاط الملوكي ومع مرور الزمان أصبحت زياراته تقل تدريجياً . وكان يقضي أكثر أوقاته في منزل فيرو بوفا التي كانت تحمل اليه رسائل القيصرة وتحمل الى البلاط أجوبتها وفي أغلب الاحيان تكون رسائله شفهية لأنه كان يتجنب تقييد قلمه وأقواله

ان السيدة فيرو بوفا المذكورة آنفاً احدى النساء المقربات كثيراً من القيصرة اليكساندرا ثيودوروفنا . وكانت من وجهة أخرى آلة صماء في أيدي أشخاص عاطلين يستعملونها لتنفيذ أغراضهم الشخصية ومآربهم المادية وينتفعون بواسطة نفوذها وعلو مركزها في البلاط القيصري . ان تلك المرأة كانت قليلة الخبرة وليس لها ارادة معينة وقد قادها سوء الطالع الى الوقوع تحت تأثير رسبوتين فاستسلمت له كل الاستسلام واستعملها آلة للوصول الى مقاصده وأغراضه .

ولما رأس فيما بعد الموسيو كيرنسكي الحكومة الروسية المؤقتة أصدر أمره بتعيين

لجنة خاصة لتحقيق علاقة فيروبوفا برسبوتين فرفعت اللجنة المذكورة بعد عدة أيام قضتها في التحقيق وسماع شهادة الشهود تقريراً ضافياً ملخصه « ان تأثير رسبوتين ما كان يتعدى جدران منزل فيروبوفا وبما انه كان مستشاراً سياسياً للقيصرة ،كان يبدي لها رأيه بكل تحفظ واحتراس ولكي يبدي تلك الآراء بمهارة وحذق ويجعلها قريبة الى الحقيقة كان يعهد الى فيروبوفا أن تتسقط له أخبار البلاط وتنقل له كل حديث اوكلمة تقال فيه وعلاوة على ذلك كان يكلفها ان تنقل له آراء العائلة المالكة بشأنه وما تقوله عنه . ان ارتكاب رسبوتين الشرور في الخارج أوجدضجة في عاصمة الروس جلبت ضرراً كبيراً للعائلة الملوكية وفتحت باباً للتقولات والتخرصات العديدة .

وقد حاول كثيرون من أصدقاء القيصرة والمقربين اليها انيزيلواغشاوةالخداع عن عينيها باظهارهم لها حقيقة رسبوتين ولكنه قضي على عملهم بالفشل المطلق بسبب الاعتقاد المتين برسبوتين الراسخ في قلب القيصرة وبناء على ذلك فان القيصرة بمحاولتها انقاذ زوجها وابنها اللذين كانت تحبهما أكثر من كل شيء في الوجود قادتهما بيديها الى الهلاك .

ونحن كنا شهود أعظم وأفظع مأساة بشرية حدثت في تاريخ الانسانية منذ ظهورها . لعب فيها دوراً مهماً داهية سوفوكلا أو افريبيدا الذي لعب فيها فصلا محزناً من فصول أعظم مأساة يمكن للانسان أن يتصورها

ومع هذا فان البلاد من أقصاها الى أدناها كانت تنتظر منقذاً ينقذها من تلك الحالة التي لا تطاق وقد ملأ نفوسها الامل بأنه لا بد من ظهور شخص ينقذها من داهية روسيا الشرير .

ولكن رسبوتين كان محاطاً بنطاق من الحراس المأمورين بحراسته ليلا نهاراً بدون ان يغفلوا أمره لحظة واحدة وكان الثوار الاشتراكيون يعلمون حق العلم انه يعمل لنكايتهم و يسعى في التنكيل بهم فأعدوا عدتهم لمقابلته بالمثل . انني أعلم حق العلم انه كان لرسبوتين علاقة دائمة بالقيادة العامة الالمانية وقد أصبح آلة بيدها

تديره كيفما شاءت وشاءت أغراضها ولذلك كان يهمها المحافظة على حياته الثمينة لهـا فقط فأحاطته بجيش من جواسيسها ودهاتها الذين كانوا يحرسونه ويحـافظون على حياته محافظتهم على حدقة عيونهم . كانت القيادة العامة الالمانية تبذل وسعها لقتل الحكومة المطلقة وخلع القيصر . وكانت موقنة بأن وجود القيصر الجوهر الفرد لروسيا ضامن لاتحاد جميع الاحزاب المختلفة المرامي في روسيا واذا فقد فان الامبراطورية تتمزق شر ممزق وتسود فيها الفوضى المطلقة فلا تعود تقوم لها قائمة .

عرفت القيادة العـامة أن القيصر نقولا الثاني مهما تقلبت الظروف والاحوال لا يتحوّل عن صداقة حلفائه وان كل وسيلة تستعملها تلك القيادة العليا للصلح الانفرادي مع روسيا تذهب عبثاً لان القيصر بما أوتيه من قوة الارادة وما اتصف به من شدة المحـافظة على كلمته لا يقبل ذلك الصلح الانفرادي المعيب وكان قد وعد من قبل بالسير في الحرب الى النهاية

ولما أيقن الالمان أن تأثيرهم على القيصر يذهب سدى وجهوا كل قواهم ضـد القيصرة . فوجدوا جماعة من المنافقين الخائنين اشتروهم بالمال فباعوالهم وطنهم بيع السلع وشرعوا في العمل بهمة لا تعرف الملل . وأخذوا يشـيعون عنها الاشاعات الباطلة القاضية على سمعتها وأمانتها وعلماً منهـم أن القيصرة كانت من قبل أمـيرة ألمانية فقد اتخذوا ذلك وسيلة لتنفيذ أغراضهم السيئة فجعلوا يشيعون عنها انها كألمانية قد خانت وطنها الجديد والحق يقال فان هـذه الحيلة الشيطانية قد جرت في مجراها وفعلت كثيراً في تحقـير القيصرة بنظر الشعب الروسي وصـادفت اهتماماً عظيما في الدوائر السياسية الروسية ولا سيما تلك التي تعمل في الخفاء ضد العائلة الحاكمة .

وقفت القيصرة على أمر تلك العصابة التي تسعى ضـدها فأحزنها ذلك حزناً شديداً لعلمها بسفالة مقاصدها وكذبها وانه لا يوجد دليل يؤيد صحة ما تفتريه عليها من المفتريات الباطلة ذلك لوثوقها من نفسها بأنها قبلت وطنها الجـديد كما اعتنقت ديانتها الجديدة بكل قلبها وشعورها وحواسها وأصبحت روسـية جسما ونفساً وانها قبلت الارثوذكسية والوطن عن اعتقاد راسخ وايمان وطيد

مضت الشهور والحالة تزداد رداءة يوماً عن يوم ومع ذلك فان القيصر لم يضع الامل فقد كان موقناً بأن الحرب أبهظت عاتق البلاد وان الشعب متعطش للسلام. وان الرجعيين تتشدد عزائمهـم مع مرور الايام وانه لا بد من هجوم العاصفة . ان القيصر كان يميل من عهد بعيـد الى منح شعبه الحرية والتنازل عن كثير من اختصاصاته وقد وعد أخصاءه الذين فاتحوه بهـذه المسائل ولـكنه رأى أن الفترة الحاضرة غير ملائمة لمثل هذه الامور لأنه كيف يمكن اجراء الاصلاحات في البلاد وتجربة التجارب المختلفة لتنفيذها واختيار الاصلح منها ونفير الحرب يدوي في البلاد. واني أقول وقولي فيه الحق ان القيصر نقولا الثاني ما كان يعمل لنفسه أبداً ولم يكن مستبداً برأيه وكيف يكون كذلك والبساطة متجسمة فيه والقناعة ظاهرة في كل أعماله واجراءاته ولـكنه تخوف من أن اجراء الاصلاحات يحوّل البلاد في أشد أيام محنتها التي لم تر لها مثيلا في التاريخ عن مواصلة الحرب التي تتوقف عليها حياة روسـيا أو موتها . وتوقع ان حب الوطن المتأصل في نفوس شعبه يخنق جميع المنازعات السياسية وان الجميع يضحون الاغراض على مذبح حب الوطن ويواصلون الحرب الى النهاية تلك الحرب الضروس التي كلفت روسيا أحزاناً شديدة وضحايا ثمينة

واتفق القيصر مع فرنسا وانكلترا على تقديم المهمات والذخائر للجيش الروسي وبالفعل شرعتا بتنفيذ هـذا الاتفاق وزعم القيصر ان حالة الجيش في ميدان القتال لا بد لها من التحسن وكان واثقاً بأنه لا يأتي فصل الربيع الا ويكون الجيش على تمـام الاهبة للسير مع جيوش الحلفاء والقيام معهم بهجوم عام يضربون به ألمـانيا الضربة القاضية وينقذون روسيا من حالتها الحرجة حتى انه صرح لي بقوله « انه لا يمضي شهر أو شهران حتى يكون النصر المبين في أيدينا . »

وقد فوجئنا بصوت دوى كالرعـد القاصف قائلا قد قتـل رسبوتين . وكان ذلك في ٣٠ ديسمبر ونحن موجودون في موجيلييف فسافرنا في ذلك النهار الى بطرسبرج

انني لا أسـتطيع ان أنسى طول أيام حياتي الاضطراب الشديد الذي رأيته ظاهراً على الامبراطورة لدى مقابلتي اياها وكان وجهها يدل دلالة واضحة على ما في

نفسها من الحزن والالم فأطلقت لحزنها العنان ولم يستطع أحد ان يعزيها. فقد كسروا ايمانها . قتلوا ذاك الذي كانت تعتقد فيه انه الشخص الفذ الذي يستطيع انقاذ حياة ابنها وانه لا بد بعد موته من حلول عهد المصائب والكوارث واستسلمت القيصرة للاوهام وجلست تنتظر حلول ما لا تحب

قال رسبوتين وهو يحتضر : «انه بعد موته بستة أسابيع يمرض ولي العهد وتكون حياته في خطر وان البلاد الروسية تمسي على أبواب الهلاك وتكون على شفا جرف هار» وفي الحقيقة ونفس الواقع فانه لم يمض على موته شهران حتى مرض ولي العهد مرضاً مخطراً وهزت أعصاب روسيا أوائل الثورة .

جرت الحوادث في مجراها ثم هبت كالعاصفة الشديدة وفي ١٥ مارس وقع القيصر في مدينة بسكوف التنازل عن العرش فتركه الجميع وأصبح وحيداً كأنه لم يكن بالامس ذلك القيصر الذي كانت تضطرب لكلمته أركان المعمورة . وفي يوم تنازله انتصرت المانيا انتصاراً كبيراً لم يعهد له مثيل في جميع وقائع تلك الحرب الشديدة وقد تم لها ما أرادت فقد سقط القيصر وأصبحت روسيا برمتها في يديها .

ولا تسل أيها القارىء عن حالة القيصرة في هذه الايام العصيبة فقد انقطعت عنها أنباء زوجها وقضت اياماً بلياليها جالسة ازاء سرير ابنها المريض وقد استسلمت للاحزان والهموم وكانت هذه المصيبة أشد تجربة صادفتها في حياتها ولكن ما عتمت حتى أخذت من الضعف قوة وقابلت تلك المصائب التي لا تحتمل بالصبر ورباطة الجأش والاتكال على الله ولم يفارقها ذلك حتى آخر يوم من أيام حياتها .

ان الانسانية برمتها تطأطىء رأسها باحترام أمام التعاسة والمصائب وهذه الحاسة — حاسة الشعور بالآلام والعذاب تجعلها محترمة مرفوعة الرأس . ولم أر في زماني حادثاً هاماً ينطبق تمام الانطباق على ما نحن بصدده بالنسبة الى القيصرة اليكساندرا ثيودورفنا فانها كانت بالحقيقة في مقدمة أولئك الناس أصحاب النفوس الكبيرة الذين تتقهقر أمامهم المصائب صاغرة ذليلة ولا تستطيع التغلب عليهم وقيادتهم الى اليأس مهما عظمت بل يثبتون أمامها الى النهاية .

الفصل الثالث

التنازل عن العرش وسجن البلاط

و بعد تردد طويل صحت عزيمة القيصر على السفر الى المعسكر العام في موجيليف فشخص اليها في ٨ مارس سنة ١٩١٧ . ومع ان مجرى الحوادث كان يقلق بال القيصر لأنه كان ينذر بشر مستطير فقد آثر القيصر السفر الى المعسكر العام . فاضطربت القيصرة لهذا العزم والحق الذي لا مراء فيه انه كان يحق لها ان تقلق لسفر القيصر في مثل تلك الاحوال المضطربة وفوق ذلك فانه مرت عدة أيام وولي العهد طريح في الفراش لاصابته بالحميراء (الحصبة) ومرضت بعده ثلاث من شقيقاته و بقيت الاميرة ماري تسعف والدتها في خدمة المرضى . في مثل هذا الجو القاتم المضطرب غادر القيصر البلاط

وفي ١٠ مارس علمنا بحدوث اضطرابات في بتروغراد وحصلت مصادمة دموية بين رجال البوليس والمتظاهرين والداعي الى ذلك قلة المواد الغذائية في المدينة ولا سيما في الاحياء التي يقطنها العمال الذين دفعهم الجوع الى القيام بمظاهرة شديدة وساروا حاملين الاعلام قاصدين وسط المدينة طلباً للخبز

فاهتمت القيصرة لهذا الامر واستدعتني اليها وحادثتني في الشؤون السياسية على خلاف العادة وقالت ان الوزير بروتوبوبوف يتهم الاشتراكيين بتحريض الاهالي على الثورة بقولهم لهم ان الحكومة قطعت توريد المواد الغذائية عن العاصمة

وفي ١١ مارس أصبحت الحالة حرجة جداً وغدت الاخبار السيئة المقلقة تصلنا متتابعة بأن الاضطرابات عمت جميع أنحاء العاصمة وان الجنود الذين عهد اليهم بالامس اخماد الثورة اعتصبوا عن العمل ووقفوا في أماكنهم لا يبدون حراكاً وعلمت في هذا اليوم أن القيصر أصدر أمره بفض مجلس الدوما وتوقيف جلساته ولكن المجلس لم يصدع بتلك الاوامر وألف لجنة تنفيذية عهد اليها اخماد الثورة وفي اليوم التالي تجددت الاضطرابات بشدة في شوارع المدينة واستولى الثائرون

بالقوة على مخازن الاسلحة . وفي المساء خاطبوني من العاصمة بالتلفون وأخبروني ان الجيش الاحتياطي لعدة طوابير وأهمها طابور التجلي ومار بولص قد انضموا الى الثائرين فاضطربت القيصرة لهذا النبأ وكان مضى عليها يومان وهي في شدة القلق لوثوقها بقرب حدوث الخطر . فطافت غرف كريماتها ثم غرفة ابنها الذي ساءت حالته الصحية ولم تخبرهم بشيء عن تلك الحوادث المزعجة

وفي ١٣ مارس دخلت غرفة ولي العهد عند الساعة التاسعة والنصف صباحاً فأشارت اليّ القيصرة باللحاق بها الى الغرفة المجاورة فصدعت بالامر وهناك قالت لي: ان العاصمة أصبحت برمتها بأيدي الثائرين وان مجلس الدوما أقام حكومة وقتية وجعلت رودزيانكو على رأسها — ان الامر جلل يدعو الى شدة الاهتمام والتبصر وياليت الامر يقف عند هذا الحد ولكني أخشى ان الاشتراكيين القائمين بهذه الثورة لا يعترفون بالحكومة المؤقتة اذ ذاك يشتد الخطب على البلاد حيث تحدث فيها حرب أهلية تقضي على كيان الامبراطورية . ثم قالت وصلني اليوم تلغراف من القيصر يقول فيه : انه سيحضر عند الساعة السادسة صباحاً ويريد أن نسافر كلنا الى غاتشينا ويطلب أن نقابله ونحن مستعدون للسفر .

فأمرت القيصرة بالتأهب للسفر وكانت في حالة اضطراب شديد وأخبرت رودزيانكو رئيس الحكومة الموقتة بسوء حالة ولي العهد والاميرات الصحية . فأجابها بما يأتي : « اذا احترق بيت فان أهله يبدأون أولاً بنقل المرضى منه »

وعند الساعة الرابعة عاد الدكتور ديربفنكو من المستشفى وقال ان الثائرين استولوا على جميع خطوط سكة حديد العاصمة ولذلك أصبح السفر غير مستطاع وأرجح ان القيصر لايعود في الأجل الذي حدده .

وعند الساعة التاسعة مساء دخلت عليّ البارونة بوكسهيدن وقالت انها علمت بأن حامية تسارسكويه سيلوقد ثارت وانهم يطلقون الرصاص في الشوارع ويجب أن نحذر القيصره الموجودة في غرفة بناتها. فاستدعيناها وأخبرتها البارونة بحقيقة الواقع . فدنونا من النوافذ ورأينا الجنرال ريسين على رأس طابور من الجنود قد احتل ميدان البلاط

التيصري وقد أوقف جنوده وراء سور الحديقة الخشبي في أربعة صفوف وكانوا على اهبة اطلاق الرصاص من بنادقهم وفي هذه اللحظة عرفنا بواسطة التليفون ان الثوار زاحفون علينا وقد قتلوا ضابطاً من ضباط البوليس على بعد خمسمائة خطوة عنا وفعلا سمعنا بآذاننا صوت اطلاق البنادق يقترب من القصر فقلنالا بد من حصول معركة دموية حولنا . وهنا ظهرت القيصرة والوجل آخذ منها كل مأخذ وكان منظرها رهيباً مخيفاً وعيناها محمرتان حتى خلنا انهما تقطران دماً ثم خرجت من القصر وتبعتها الاميرة ماريا وصاحت بالجنود قائلة أيها الجنود : تجنبوا سفك الدماء الذكية بلا سبب وأرسلوا رجال الدوما ليوقفوا الثائرين عند حدهم . وبالهامن ساعة وماأشدها هولا وفظاعة خفقت فيها قلوبنا خفقاناً شديداً وكنا ننتظر بين لحظة وأخرى وقوع معركة دموية تسيل فيها الدماء أنهاراً . وقد أثر صوت القيصرة في الجنود وتقدم الضباط من فريق الجنود الموالين ومن المهاجمين وجعلوا يتفاوضون وبعد نهاية المفاوضة التفت الضابط الى الجنود وأمرهم بالكف عن اطلاق الرصاص ويظهر ان الجنود الموالين أثروا على الثائرين وانتهى الامر بابرام هدنة وتعيين خط حياد بين الفريقين .

قضينا تلك الليلة ونحن نتقلب على أحر من الجمر ولما أصبح الصباح علمنا ان الحكومة الموقتة وضعت حداً للثورة واستطاعت اعادة النظام الى نصابه

وعند الظهر استدعت القيصرة الغراندوق بولص وسألته اذا كان يعرف شيئاً عن القيصر فأجابها سلباً . وقال ان اعلان الحكومة الموقتة باعطاء الدستور للبلاد كان له الفضل في تسكين الثورة ولولا ذلك لهبت في البلاد ثورة قضت على كيانها فوافقته القيصرة على رأيه ولكنها كانت في حالة يأس شديد واضطراب يفوق حد الوصف لانقطاع أخبار القيصر عنها مدة يومين . وقد مضى يوم ١٥ مارس والقلوب واجفة والوجوه شاحبة لانتظار حصول حوادث جديدة وعند الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل طلب أحد أعضاء الحكومة الموقتة الدكتور بوتكن وسأله عن صحة ولي العهد اليكسي نيقولا يفتش (وقد عرفنا بعد ذلك أنهم أشاعوا في العاصمة بأن ولي العهد مات)

وكان اضطراب القيصرة يزداد بين ساعة وأخرى لانقطاع أخبار القيصر عنها ثلاثة أيام وعند منتصف النهار وصل البلاط نبأ تنازل القيصر عن العرش فلم تصدق القيصرة ذلك وقالت انها اشاعة يقصدون بها ذر الرماد في العيون . ولكنه بعد فترة قصيرة جاء الغراندوق بولص وأكد الخبر بقوله : لقد تنازل القيصر في مدينة بسكوف عن العرش لأخيه ميخائيل اليكساندروفيتش . فكاد الدم يصعد الى رأس الامبراطورة ومع ذلك فلم تفارقها شجاعتها وأظهرت جلداً أدهش الذين حولها . رأيتها في ذلك المساء في غرفة ولي العهد وكانت هادئة وقد رسم على وجهها طابع قوة الارادة الذي يفوق قوة البشر . ودخلت كجاري عادتها غرف بناتها وابنها ولم تسمح لأحد بالدخول عليهم واخبارهم بشيء مما حدث لئلا يؤثر ذلك على صحتهم . وفي آخر هزيع من الليل علمنا ان الغراندوق ميخائيل تنازل بدوره عن العرش وان الجمعية العمومية ستختار نوع الحكم الذي تريده للبلاد . وفي اليوم التالي صادفت القيصرة في غرفة ابنها اليكسي وكانت هادئة غير ان الاصفرار صبغ وجهها وقد ظهر عليها الكبر والانزعاج

وفي ذلك النهار وصلها تلغراف من القيصر حاول فيه تسكين ثائر اضطرابها وقال لها انه ينتظر قدوم والدته القيصرة ماريا ثيودورفنا في موجيلييف

مرت على هذه الحالة ثلاثة أيام وفي ٢١ مارس دعتني القيصرة اليها عند الساعة العاشرة والنصف صباحاً وقالت لي بصوت متهدّج تكاد تخنقه العبرات : سيحضر في الحال الى البلاط الجنرال كورنيلوف ويخبرني باسم الحكومة الموقتة اني والقيصر أصبحنا من اليوم سجينين تحت تصرف تلك الحكومة وان كل من يمتنع من حاشيتنا وخدمنا عن السجن الاختياري معنا يجب ان يغادر القصر عند الساعة الرابعة بعد الظهر . فأجبتها اني متطوع للسجن الاختياري وسأبقى ملازماً لهم .

فقالت سيحضر القيصر غداً ويجب تحذير اليكسي واخباره بكل شيء فأرجوك

ان تأخذ على عاتقك ذلك وأنا أتلطف باخبار كريماتي . وكانت تتألم جداً خوفاً من تأثير وقوع ذلك الخبر على المريضات .

ثم دخلت على ولي العهد وقلت له : ان القيصر سيحضر من موجيلييف ثم هو لا يعود اليها أبداً

— « لماذا » ؟

— « لأن والدك لا يريد بعد اليوم تولي القيادة العامة »

فأحزنه هذا الخبر لأنه كان يحب السفر الى مركز القيادة العامة .

و بعد فترة قصيرة خاطبته بقولي : ان والدك لا يريد بعد أن يكون قيصراً فتفرس في وجهي تفرساً عميقاً ليقرأ فيه مايظن اني أحاول اخفاءه عنه وقال :

« كيف ذلك ؟ ولماذا ؟ »

« لأنه تعب كثيراً وتحمل في الايام الاخيرة متاعب عديدة »

« أجل ان والدتي قالت لي انهم أوقفوا القطار الذي كان يريد ان يسافر عليه الينا ولكنني واثق بأن والدي سيكون قيصراً فيما بعد »

وحينئذ أفهمته صريحاً بأن والده تنازل عن العرش لشقيقه ميخائيل الذي تنازل بدوره أيضاً

« فقال الغلام : اذن من سيكون قيصراً على البلاد ؟ »

— « لا أعلم ذلك وانما أعلم ان البلاد الآن بدون قيصر » . . .

ولم يلفظ في خلال حديثنا بحرف عن نفسه ولا عن حقوقه كولي عهد ولكنه احمرّ كثيراً وأظهر شيئاً من التهيج العصبي و بعد برهة ساد فيها السكون قال : «اذا كان لا يوجد قيصر الآن فمن يحكم البلاد » ؟

فقلت له لقد تألفت حكومة موقتة تنظر في شؤون البلاد لحين انعقاد الجمعية العمومية ويحتمل اذ ذاك ان يتبوأ عمه ميخائيل عرش روسيا

وانه لا بد لي من التصريح بأنه أدهشتني وداعة وعلو نفس هذا الغلام .

ومن ذلك النهار جعلوا يقفلون أبواب القصر عند الساعة الرابعة وغدونا سجناء فيه تحرسنا الجنود ليلاً نهاراً .

وأخيراً عاد القيصر في ٢٢ مارس عند الساعة الحادية عشرة صباحاً و بمعيته المارشال دولغوروكف وصعد تواً لرؤية أولاده حيث كانت القيصرة في انتظاره

و بعد الغداء دخل غرفة ابنه البكسي حيث كنت موجوداً فسلم عليَّ وصافحني ببساطته و بشاشته المعهودة . وتفرست في وجهه فرأيته مصفراً وقرأت في ملامحه ما قاساه من المتاعب

ان رجوع القيصر جلب السرور لجميع أفراد العائلة بقطع النظر عن الحوادث المحزنة التي جرت . ومعلوم ان الاميرات كن واقفات على ماجرى لوالدهن وماحدث في البلاد فأظهرن حزناً شديداً على ما آلت اليه حالة والدهن وعطفاً يفوق حد الوصف وعزمن عزماً ثابتاً على تفريج كربته باظهار عواطف المحبة نحوه وتسليته في أحزانه وقلن ان محبتنا لبعض هي العلة الوحيدة التي تمكننا جميعاً من الصبر الجميل وتحمل آلام تلك الحالة بقلب ثابت واستقبال ما أخفاه لنا الدهر بعزم لا يتزعزع .

اشتهر القيصر بالتغلب على عواطفه وقد ظهرت هذه الصفة بأتم مظاهرها في الحالة الحاضرة نعم انه كان يظهر أسفه لما حدث خوفاً على مستقبل روسيا ووقوعها في أيدي أفراد لاهمَّ لهم غير تنفيذ مآربهم الشخصية والاصطياد في الماء العكر ولكنه اذا وجد بين أفراد أسرته ما كان يظهر تذمراً ولا ينبس ببنت شفة وكان يقضي أكثر ساعات النهار بينها ثم يقتل بقية وقته في المطالعة والنزهة مع الامير دولغوروكوف . وكانوا منعوه من دخول بستان القصر الواسع وصرحوا له بالرياضة في حديقة صغيرة واقعة أمام القصر . أصبح قيصر روسيا محاطاً بالحراس والجنود لخضع لهذه الحالة ولم يوجه كلمة ملام او تأنيب لأحد ومما يجب التصريح به انه

تملكته في هذه الاحوال الرهيبة عاطفة الحب للوطن فصرح مراراً بأنه يسامح كل الذين سببوا له الاهانة والتحقير اذا أمكنهم فقط انقاذ روسياوعدم قيادتها الى الدمار

أما القيصرة فانها كانت تقضي أكثر أوقاتها جالسة على كرسي كبير (فوتيل) في غرفة كريماتها او غرفة ابنها . وقد سحقت الاحزان جسمها ولكن حالتها المعنوية تحسنت كثيراً بعد عودة القيصر الى البلاط وكانت مسرورة بحالتها الجديدة البعيدة عن القلاقل والاضطراب وانها ستكرس نفسها بجملتها من الآن فصاعداً الى ذلك الذي أحبته كثيراً

ومن سوء حظ العائلة القيصرية التي تحالفت عليها المصائب وأحاطت بها النوائب من كل جانب ان الاميرة ماريا التي كانت ساعد القيصرة ونصيرتها الوحيدة ابان الثورة وفي خلال مرض شقيقاتها قد مرضت بدورها ولازمت السرير الامر الذي كدر العائلة كثيراً ولكن رحمة الله واسعة فقد تحنن عليها وذكرها في أيام ضيقها فتعافت بقية الاميرات

نحن توقعنا ان سجننا في تسارسكويه سيلو لا يطول أمره وكنا ننتظر انهم يرسلوننا الى انكلترا ولكن ذهب انتظارنا عبثاً حيث مرت الايام وكانوا يؤجلون سفرنا من وقت الى آخر حتى قطعنا حبل الرجاء ذلك لأن الحكومة الموقتة كانت تحسب حساباً لكل شيء لا سيما وان سطوتها أخذت تضعف رويداً رويداً .

نحن كنا على بعد عدة ساعات من حدود فنلاندا ففكر بعضنا بأننا نستطيع الفرار لو استعملنا الحيلة والوسائل لانقاذ العائلة القيصرية من سجنها والوصول بها الى أحدى موانئ فنلاندا ومن هناك ننقلها الى احدى البلاد الاجنبية ولكن مع الاسف أقول انه لم يجرأ أحد على تنفيذ هذه الخطة الممكنة ولا ان يأخذ المسؤولية على نفسه وبناء على ذلك بقيت عائلة القيصر مسجونة الى شهر أغسطس وفي خلال

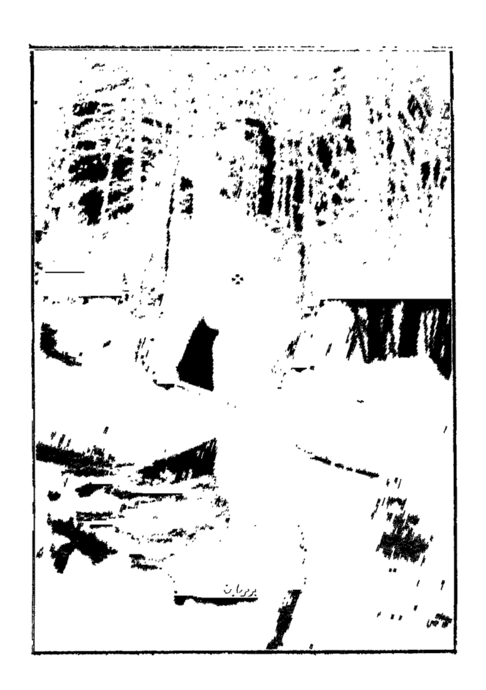
خمسة أشهر السجن هذه كنت أكتب كل يوم ما يقع لنا من الحوادث واني أقتطف من تلك المذكرات الفقرات الآتية :

الاحد أول ابريل — تحسنت صحة ولي العهد وذهبنا صباحاً لكنيسة القصر حيث ألفينا القيصر والقيصرة والاميرتين اولغا وتاتيانا وبعض أفراد الحاشية الذين اختاروا السجن معنا . ولما رفع الكاهن صوته داعياً بانتصار الجيش الروسي وجيش الحلفاء ركع القيصر على ركبتيه وحذت حذوه القيصرة وجميع الموجودين في الكنيسة.

وقبل هذا بمدة أيام عند ما كنت خارجاً مساءً من غرفة ولي العهد صادفت عشرة جنود في فناء القصر يروحون ويجيئون فدنوت منهم وسألتهم قائلاً : ماذا تريدون ? فأجابوني اننا نريد رؤية ولي العهد . فقلت لهم : «انه مريض في سريره وغير مصرح لأحد بالدخول عليه» فقالوا نريد رؤية بقية افراد العائلة . فقلت كلهم مرضى . فقالوا وأين القيصر ? فقلت لا أدري . ولكني أرجوكم ان تخرجوا من هنا ولا تحدثوا ضوضاء حتى لا تقلقوا راحة المرضى . فرضخوا لكلامي وساروا الواحد تلو الآخر وكانوا يمشون على رؤوس أصابعهم ويتكلمون همساً . هؤلاء هم الجنود الذين يصفونهم بأنهم القساة الثائرون الذين يكرهون قيصرهم .

الثلاثاء ٥ ابريل — حضر اليوم الى القصر كيرنسكي لأول مرة فطاف جميع غرف البلاط وفتش على الحراس بدقة ليتأكد بنفسه يقظتهم في حراستنا ثم اجتمع بالقيصر والقيصرة وحادثهما طويلا وخرج .

الجمعة ٦ ابريل — أخبرني القيصر اليوم عما خامر فؤاده من الحزن الشديد لدى مطالعته الصحف ووقوفه منها على هلاك الجيش وانعدام نظامه وانتشار الفوضى بين أفراده حتى أصبح الضباط يخافون من الجنود الذين يقودونهم وقد أعرب القيصر عن حزنه الشديد للفوضى القائمة في الجيش الذي كان يحبه كثيراً .



القيصر نقولا الثاني ينظف بنفسه في شهر مارس سنة ١٩١٧ الثلج من
الطريق المؤدي الى الحديقة في خلال سجنه في تسارسكويه سيلو

الاحد ٨ ابريل — أنذر كيرنسكي القيصر بعد حضور القداس بأنه سيفصله عن القيصرة .... وانه يجوز له فقط ان يراها على مائدة الطعام واذا حادثها يجب عليه ان يخاطبها باللغة الروسية فقط ويجوز له ان يشرب معها الشاي أيضاً وانما يكون ذلك بحضور أحد الضباط . ونفذ أمره هذا وخرج .

وبعد أيام قالت لي القيصرة وكانت في شدة الاضطراب . أليس من العار ان يعاملوا القيصر بهذه المعاملة الشنعاء ويحرموه من الوجود مع زوجته بعد ان قدم نفسه ضحية وتنازل عن العرش اجتناباً للحرب الاهلية . فما أقبح هذا التصرف وما أفظعه ! ان القيصر أبى سفك دم روسي واحد لاجله وكان هو على استعداد تام للتنازل عن كل شيء بشرط ان يعود ذلك لخير روسيا . وسكتت قليلا وقالت : ما العمل يجب علينا ان نتحمل أيضاً هذه المصيبة الجديدة .

الاثنين ٩ ابريل — علمت ان كيرنسكي كان عازماً على ابعاد القيصرة عن البلاط ولكن قيل له : انه ليس من الانسانية في شيء ابعاد أم عن أولادها المرضى فعدل عن رأيه ونفذ الامر بالنسبة الى القيصر فقط .

١٣ ابريل يوم الجمعة العظيمة — أتم جميع أفراد العائلة القيصرية في ذلك المساء سر الاعتراف

السبت ١٤ ابريل — حضرت العائلة صلاة الصباح عند الساعة التاسعة والنصف صباحاً وتناولت الاسرار المقدسة . وعند الساعة الحادية عشرة ونصف من مساء ذلك اليوم تقابلوا جميعاً في الكنيسة لحضور صلاة الفصح . وكان بين الحاضرين الميرالاي كوروفيتشينكو قائدحامية القصر وصديق كيرينسكي الحميم وثلاثة ضباط . وانتهت الصلاة عند الساعة الثانية صباحاً فذهبوا بعدها الى قاعة المكتبة للقيام بفروض المعايدة بعيد الفصح المجيد . فقبّل القيصر جميع الرجال الموجودين

بحسب العادة الروسية و بينهم الضباط الموجودون معهم . ولاحظت ان الخجل اعترى أولئك الضباط لما رأوه من اخلاص القيصر وطهارة قلبه . و بعد ذلك جلسوا جميعاً حول مائدة مستديرة لتناول طعام الفصح بعد ان صاموا أسبوعاً كاملا وكنا سبعة عشر نفساً مع الضباط وكان متغيباً من العائلة الاميرتان ماريا واولغا وولي العهد . وقد انطفأت امارات السرور التي كانت بادية على الجميع في بدء الامر وساد الصمت والسكون وظهرت أمارات الحزن الشديد على القيصرة .

الاحد ١٥ ابريل — عيد الفصح — خرجت هذا النهار لاول مرة مع ولي العهد لفناء القصر ثم جلسنا في شرفته نتمتع بشمس ذلك النهار المشرقة . وعند الساعة السابعة مساء اجتمعنا جميعاً للصلاة في غرفة الاميرات . وكنا خمسة عشر نفساً ولما هتف الكاهن بالدعاء للحكومة الموقتة رأيت القيصر يرسم اشارة الصليب بكل خشوع وخضوع .

وفي اليوم التالي كان الطقس جميلا جداً وأرسلت الشمس أشعتها الربيعية البهجة فخرجنا جميعاً للنزهة في بستان القصر الواسع حيث صرحوا لنا بذلك بحراسة ضابطين و بعض الجنود . فأخذنا هناك نلهو بتكسير الجليد وما عتمنا حتى رأينا الجنود وجمهوراً من الناس اجتمعوا حول سياج البستان (درابزون) وجعلوا يتفرجون علينا و بعد برهة يسيرة تقدم بعض الحراس الى القيصر وقالوا له : ان رئيس حامية القصر أرسل يقول انه يخشى من قيام مظاهرة عدائية أو يخشى ان يجرأ أثيم على الفتك بأحد أفراد العائلة القيصرية وانه ينصح لهم بالابتعاد عن هذا المكان . فأجاب القيصر انه لا يخاف أحداً من هؤلاء الناس الذين لا يشعر أنهم يضايقونه



(ولي العهد الكسي وشقيقته الامرة اتيانا في سجن سارسكو ٠ سلو سنة ١٩١٧)

الجمعة ٢٠ ابريل — نحن الآن نخرج كل يوم دفعتين . صباحاً من الساعة الحادية عشرة الى الثانية عشرة وبعد الغداء من الساعة ٢ وصف الى الساعة ٥ فكنا نجتمع اولا في قاعة واسعة ننتظر رئيس الحراس الذي يجيء ويفتح الباب المؤدي الى الحديقة الواسعة فنسير متبوعين بالضابط صاحب النوبة وبعض جنود يحيطون بالمكان فنقضي الوقت بالعمل

الاحد ٢٢ ابريل — صدر لنا اليوم امر بعدم الدنو من بركة الماء وانه يجب علينا أن نبقى بجانب القصر ولا نتعدى الحدود التي عينوها . وعند خروجنا للنزهة رأينا جمهوراً كبيراً من الناس يعدون بالمئات جاءوا ليمتعوا نظرهم بنا .

الاربعاء ٢٥ ابريل — حضر كيرنسكي الى البلاط فتمكن الدكتور من انتهاز الفرصة وتقدم اليه وطلب منه تصريحاً بنقل العائلة القيصرية الى ليفاديا بسبب مرض الاولاد فأجابه ان ذلك لا يجوز مطلقاً في هذه الآونة . ثم دخل على القيصر والقيصرة وجلس معهما طويلا وقد لاحظت ان كيرنسكي احسن معاملته للقيصر

عن قبل وتنازل عن عظمة الآمر وظهر لي انه ابتدأ يدرك كنهالقيصر وكالاته الادبية الامر الذي كان يحدث كثيراً للذين يعاشرون القيصر .

الاحد ٢٩ ابريل — جرى حديث طويل مساء بين القيصر والقيصرة بشأن تدريس ولي العهد لأنه لا يجوز تركه بدون مدرسين وتم الاتفاق على ان القيصر يأخذ على عهدته تدريسه التاريخ والجغرافيا والقيصرة تأخذ دروس الدين — والبارونة بوكسهيدن اللغة الانجليزية والسيدة شنيدر الحساب والدكتور بوتكن اللغة الروسية وأنا اللغة الفرنسية .

الخميس ٣ مايو — قال لي القيصر مساء : ان أخبار الايام الاخيرة سيئة جداً : فان الاحزاب المتطرفة تطلب من فرنسا وانكلترا موافقتها على ابرام الصلح بلا ضم ولا غرم . وان فرار الجنود من الجيش يزداد يوماً فيوماً والجيش يذوب كما يذوب الثلج وهل ياترى تستطيع الحكومة الموقتة مواصلة الحرب ؟

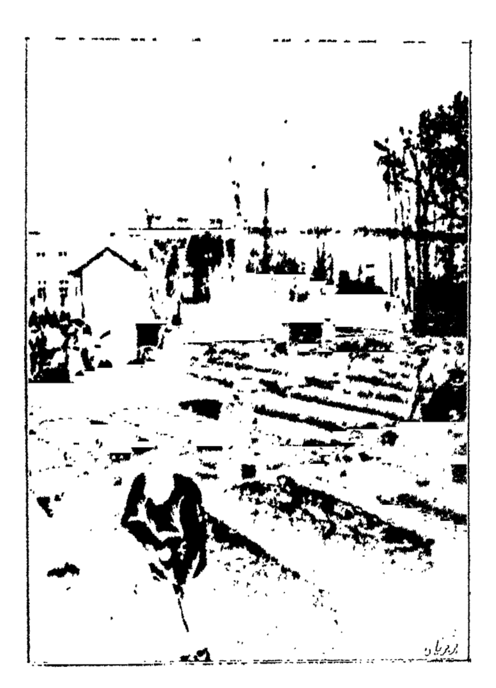
كان القيصر يتتبع مجرى الحوادث بدقة متناهية واهتمام عظيم وكانت أمارات القلق بادية عليه ومع ذلك فانه كان يعتقد اعتقاداً راسخاً ان في استطاعة البلاد مواصلة الحرب والمحافظة على عهد الامانة لحلفائها .



« الغرندوقة تاتيانا تنقل الاعشاب من الحديقة »
« بمساعدة أحد الجنود »

الاحد ١٣ مايو — مضى علينا يوم ونحن نشتغل ببذر بذور البقول في الحديقة.

وقد نظفنا الارض من الاعشاب المتراكمة في الارض ونقلناها على عربات صغيرة وكدسناها أكداساً في جهة بعيدة وكان جميع أفراد العائلة القيصرية يشتغلون معنا بلا استثناء ثم أقدم أيضاً بعض الجنود على مساعدتنا



« القيصر وأولاده وأصحابه يعملون في الحديقة »

« لزرع البقول في مايو سنة ١٩١٧ »



الغراندوقتان تاتيانا وأنسطاسيا ينقلان الماء
« اسقي البقول في يونيو سنة ١٩١٧ »

رأيت الاهتمام الشديد باديًا على وجه القيصر الذي قال لي بعد ان عدنا من التريض : علمت ان روزسكي استقال لانه اراد ان يتخذ خطة الهجوم على العدو ولكن الدوائر العسكرية لم تصرح له بذلك . فاذا كان الحال على هذا المنوال فقل على روسيا السلام . اليس من العار على الجيش ان يلبث متخذاً خطة الدفاع؟ اهكذا يفعل الذي يريد ان يحمي نفسه ان ذلك بمثابة انتحار . فاننا الآن نعطي العدو فرصة ليخنق حلفاءنا فاذا ما فرغ منهم عاد الينا وقضى علينا .

الاثنين ١٤ مايو — عاد القيصر الى حديث الامس فقال مازال لي بعض الامل في الجيش واني ارجح ان الاخبار الواردة من ميدان القتال الروسي مبالغ فيها اقول ذلك لأنهم اعتادوا عندنا المبالغة في كل أمر ولا يطيب لهم العيش بدونها . أنا لا أصدق ان الحالة في الميدان الشرقي بلغت في شهرين من السقوط ما يشيعون عنها

السبت ١٩ مايو (١) يوم عيد ميلاد القيصر و بلوغه السنة التاسعة والار بعين حضور القداس ثم تقديم التهاني بالعيد .

الاحد ٢٧ مايو — انقصوا كمية الحطب المعينة لنا للتدفئه فشعرنا جميعنا بالبرد . ومرضت في هذا النهار السيدة ناريشكيناوصيفة القيصرة فنقلوها لعدم وجود من يعتني بها وقد بكت تلك المسكينة بكاء مراً لدى خروجها لعلمها انه لا يصرحون لها بالرجوع ثانية الى البلاط

الجمعة ١٥ يونيو — رأينا في هذا اليوم البقول التي زرعناها قد نبتت وسررنا بنوع خاص من نمو الكرنب وكثرته وكان خدم القصر اختاروا قطعة أرض وحفروها وزرعوا فيها ايضاً كمية وافرة من بذور البقول المختلفة فساعدناهم في حرث الارض وتطهيرها من الاعشاب وكان القيصر في مقدمة الذين ساعدوا الخدم حيث أخذ فأسه وحفر به الارض

الاثنين ٢ يوليو — علمنا من الصحف ان الجيش الروسي اتخذ خطة الهجوم الذي كان يتقدم مقروناً بالفوز والنجاح

الثلاثاء ٣ يوليو — أقمنا اليوم صلاة شكر لله تعالى بداعي انتصار الجيش الروسي و بعد الصلاة أحضر القيصر لولي العهد جرائد المساء وجعل يقرأ على مسامعه أخبار انتصار الجيش

الاحد ١٥ يوليو — ليس عندنا في السجن أخبار جديدة غير اشتداد الحر وان ولي العهد جعل يسبح في بركة الماء وسبب له ذلك سروراً عظيما

الخميس ٢ أغسطس — علمت اليوم ان الحكومة الموقتة قررت نقل القيصر وعائلته ولكنها كانت تتكتم أمر المكان الذي ستنقلهم اليه ورجونا انها ستنقلنا الى القرم .

السبت ١١ أغسطس — صدرت لنا الاوامر بالاستعداد وان نرتدي ملابس الشتاء الدافئة فأيقنا انهم لا يريدون نقلنا الي الجنوب فأحزننا هذا الامر جداً .

---

(١) ٦ مايو على الحساب الشرقي .

الاحـد ١٢ اغسطس (١) يوم عيد ميلاد ولي العهد اليكسي وبلوغه العام الثالث عشر وحسب أمر القيصرة احضروا في ذلك النهار ايقونة والدة الاله العجائبية وأقمنا قداساً حافلا . وفي هذا النهار حـددوا لنا اليوم التالي للسفر وأخبرني قائد الحامية سراً بأنهم سينقلوننا الى تو بولسك

الاثنين ١٣ اغسطس — أمرونا ان نكون مستعدين للسفر عند الساعـة الثانية عشرة مساء وان القطار سيقوم بنا عند الساعة الواحدة بعد نصف الليل. وفي ذلك النهار نزلنا الى الحديقة وودعنا بقولنا الني زرعناها وبركة الماء والمحـلات التي كنا نرتادها وقرب الساعة الاولى اجتمعنا في غرفة واسعة حيث كانت موجودة حقائب السفر وغيرها من المعدات وحضر عند تلك الساعة كيرينسكي والامير ميخائيل شقيق القيصر وتقدم هذا من شقيقه وسلم عليه وأعرب له عن سروره العظيم لتمكنه من رؤيته قبل السفر . وقد تأخر القطار عن الميعاد الذي حدوده وعللوا ذلك بحدوث اضطرابات بين عمال خط سكة حديد بتروغراد الذين لحظوا بان هـذا القطار معد لسفر القيصر وعائلته فاضربوا عن العمل . وقد سئمنا كلنا الانتظار وأخيراً أنذرونا بوصول القطار والاستعداد للسفر فودعنا بعض زملائنا في السجن الذين تخلفوا عن السفر وودعنا القصر والقينا نظرة على الحديقة التي تربطنا بها تذكارات عـديدة وكان مجرد نظرنا الى القطار داعياً الى الحزن العميق ولما خرجنا لنركب السيـارات لتوصلنا الى محطة اليكساندروفسك أحاطت بنا كتيبة من الفرسان ثم دخلنا القطار واتخذنا لنا مقاعد في مركبات نظيفة مناسبة وبعد نصف ساعة تحرك القطار وجعل يسير ببطء وكانت الساعة المعلقة على حائط المحطة تشير الى الساعـة السادسة الا عشر دقائق .

---

(١) ٣٠ يوليو على الحساب الشرقي

الفصل الرابع

سجن توبولسك

من الصعب على الكاتب ان يدرك الامر الحامل للحكومة الروسية الموقتة على نقل العائلة القيصرية الى توبولسك . والحكم حسب الظواهر لا ينطبق على الحقيقة في اكثر الاحيان وربما شط المؤرخ عن محجة الصواب اذا ارتكز في حكمه على ذلك لانه كثيراً ما تخالف السرائر الظواهر . وما أنا في هذا المعنى لا راو لحوادث وقعية وقعت بين سمعي وبصري فأرويها على علاتها تاركا تحقيق اسبابها الى الزمان فانه أبو الحقائق يظهرها ويقدمها للناس بثوبها الناصع القشيب.

والذي أعلمه حق العلم هو انه لما قدم كيرينسكي الى البلاط واخبر القيصر بأمر هذا النقل بقوله : ان الحكومة الموقتة وطنت النفس وصممت العزم على اتخاذ جميع الاجراآت الشديدة لمناوءة البلشفيك الذين تفاقم أمرهم وتعاظم ضررهم وتلك الحكومة تنتظر حدوث مصادمات عنيفة بينها وبينهم تعقبها معارك دموية تسيل فيها الدماء أنهاراً وترجح الحكومة ان اول فريسة يطلبها البلشفيك هي العائلة القيصرية واستطرد كيرنسكي الكلام فقال : وقد وجدت من واجبي ان انقذكم من كل ما يمكن حدوثه من الحوادث المنتظرة . ولكن البعض ارتأى رأياً غير هذا فقال ذلك البعض ان السبب في نقل القيصر وعائلته كان بناء على طلب اعضاء حزب الشمال المتطرفين الذين ألحوا بطرد القيصر الى سيبيريا خوفاً من ان الجيش الموالي للقيصر يهجم يوماً ما على البلاط ويعيد الحكم للقيصر ومهما تعددت الروايات فان سفر القيصر وعائلته الى سيبيريا كانت متوفرة فيه اسباب الراحة ولم يحدث في خلال الطريق اقل حادث مكدر . وقد سار بنا القطار عند الساعة السادسة من صباح ١٤ اغسطس وبلغنا في مساء السابع عشر منه تيومين وهي اقرب محطة من محطات السكة الحديد الى توبولسك وانتقلنا من القطار الى الباخرة « روس » التي كانت في انتظارنا .

وفي اليوم التالي مررنا بالقرية التي ولد فيها رسبوتين وكانت عائلة القيصر واقفة اذ ذاك على ظهر الباخرة فرأت منزل « الشيخ المقدس » مرتفعاً بين اكواخ القرية . وتذكر الجميع كلماته التي فاه بها وهو يحتضر حيث تنبأ بأمور تمت جميعها بالحرف الواحد .

وفي ١٩ منه بينما كانت الباخرة تسير الهوينا بين تعاريج النهر ظهرت لنا فجأة مدينة توبولسك وبعد برهة يسيرة بلغنا مرفأها .

وبما أن المنازل المعينة لاقامتنا لم يتم اعدادها لبثنا عدة أيام في الباخرة وفي ٢٦ أغسطس نزلنا من الباخرة وقصدنا تواً المنازل المعدة لنزولنا

فنزل القيصر وعائلته في الدور العلوي من منزل حاكم المدينة وكان منزلاً مناسباً واسعاً وأما الحاشية فنزلت في بيت كورنيلوف من تجار المدينة الاغنياء وكان واقعاً في آخر الشارع المقابل لبيت الحاكم . وأما حراسنا فقد جاءوا معنا من تسارسكويه سيلو وكانوا تحت قيادة الميرالاي كوبيلينسكي وهو رجل شريف كريم الاخلاق ابن العريكة أحسن معاملة العائلة القيصرية وبذل كل ما في وسعه لتوفير أسباب الراحة لها وقدم لها جميع مطاليبها بارتياح وطيبة خاطر

وكانت معيشتنا في سجننا الجديد في بدء أمرها راضية مرضية لا فرق بينها وبين معيشة سجن تسارسكويه سيلو وكانوا يقدمون لنا جميع ما نحتاج اليه ولولا ضيق مكان السجن والمكان المخصص للنزهة لما شعرنا بنقص ما . وفي الواقع انهم أباحوا للقيصر وأفراد عائلته الرياضة في مكان غير متوفرة فيه الشروط اللازمة لذلك ولزيادة الايضاح أقول انهم أباحوا لهم الخروج من المنزل الى حديقة صغيرة مجاورة له وأضافوا اليها جزءاً من الشارع المتاخم له الخالي من الناس بعدان أحاطوه بسياج خشبي عالٍ وكانوا كيفما ساروا او جلسوا واقعين تحت أنظار الجنود

أما الاشخاص المقربون الاسرة والخدم فقد تمتعوا هنا بحرية ما كانوا يحلمون بها فصرحوا لهم بالنزول الى المدينة والرياضة في ضواحيها

وفي شهر سبتمبر قدم الى توبولسك المأمور بانكراتوف موفداً من قبل كيرينسكي

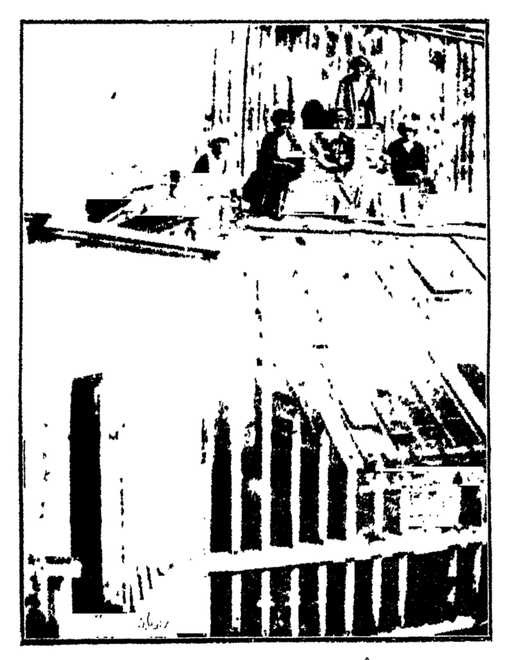
وبمعيته مساعده نيكولسكي أحد المنفيين السياسيين سابقاً مثل زميله يانكراتوف . وهذا الاخير رجل مهذب أحرز نصيباً وافراً من التربية والتعليم وكان بفطرته طيب الاخلاق لطيف المعشر أنيس المحضر وقد أثرت أخلاقه هذه على القيصر فمال اليه وأحبه أولاده كثيراً وعلى عكس ذلك نيكولسكي فقد كان عبارة عن حيوان شرس ومن ساعة قدومه بانت شراسته بأتم مظاهرها وجعل يبذل كل مجهوداته لمضايقة العائلة واصدار الاوامر المتتابعة بدون شفقة ولا رحمة و بدون سبب وجيه داع لذلك وكانت باكورة أعماله انه أمر بأخذ صور القيصر وعائلته وحاشيته وخدمه الفوتوغرافية وألصقها على شهادات تحقيق الشخصية لكل واحد منا بدون استثناء وبأرقام متسلسلة وسلم لكل واحد منا شهادته . ولما قال له الميرالاي رئيس الحملة انه لا حاجة لذلك لأن المسجونين معروفون لدى الحراس معرفة جيدة أجابه : أرغمونا من قبل على حمل مثل هذه الشهادات فليحملوها الآن بدورهم .

ومن المعلوم المشهور ان القيصر وأفراد أسرته كانوا على جانب عظيم من حسن العبادة والمواظبة على اقامة الصلوات وحضور القداس الالهي وفي توبولسك لم يستطيعوا القيام بالفروض الدينية لعدم وجود كنيسة في المنزل المعد لسجنهم فكانوا يقيمون الصلوات في احدى غرف دور المنزل الاعلى فكان يحضر اليهم كاهن من كنيسة البشارة مع شماسه وأربع راهبات من دير القديس يوحنا . ولكن هذه وحدها لا تبيح وانتيمنيس ما كانوا يستطيعون اقامة خدمة القداس بل كانوا يقرؤون صلوات وفصولاً من الانجيل ورسائل الرسل واخيراً في ٢١ سبتمبر الذي يقع فيه عيد ميلاد والدة الاله الطاهرة الكلية القداسة صرحوا لأول مرة للمسجونين بالتوجه الى الكنيسة لحضور القداس الالهي الامر الذي جلب لهم تعزية كبيرة فنهضنا في ذلك اليوم مبكرين جداً واجتمعنا في فناء المنزل ثم فتحوا لنا باب الحديقة وكان على جانبي الطريق صفان من الجنود ببنادقهم وسرنا تحت حراستهم الى كنيسة فبيرة مضاءة بعدة شموع وحضرنا فيها القداس الاول ولم يصرحوا لاحد غيرنا من الاهالي بحضوره . وقد رأيت مراراً عند ذهابي ورجوعي من الكنيسة ان الناس عندما كـ

يرون القيصر ذاهباً الى الكنيسة يرفعون قبعاتهم و يرسمون الصليب و يخرون على الارض ساجدين اجلالا وتعظيما . و بوجه الاجمال فانه طول مدة اقامتنا في تو بواسك أظهر أهاليها اخلاصاً عظيما للقيصر وأسرته وحباً يفوق حد الوصف ومع ان الاوامر الصارمة كانت شديدة جداً لمنع الاهالي من الدنو من المنزل المقيم فيه القيصر وأسرته فانهم كثيراً ما كانوا يتعدون تلك الاوامر و يطوفون حول المنزل وأعناقهم متطاولة وأبصارهم شاخصة امامهم يكتحلون بمرأى قيصرهم المحبوب وكانوا اذا دنوا من المنزل يرفعون قبعاتهم و يرسمون اشارة الصليب و يذرفون دمعاً سخيناً . ان هذه المظاهر الجلية والعواطف الشريفة تدل دلالة واضحة على تعلق الشعب بمليكه وكثيراً ما كان تجمهر الاهالي حول منزل القيصر يستدعي تداخل الجنود لطردهم من هنالك.

ومع مرور الايام أعتدنا العيشة في تلك الجهة المقفرة الشديدة البرد وعدنا الى تدريس ولي العهد وشقيقتيه الصغيرتين وكانت الدروس تبتدىء عند الساعة التاسعة صباحاً وتنتهي عند الساعة الحادية عشرة ثم نخرج بعدها للنزهة ويرافقنا القيصر . وعند الساعة الواحدة نرجع جميعاً لمناولة طعام الغداء على مائدة واحدة خلا القيصرة فانها عندما كانت تشعر بانحراف صحتها تتناول الطعام في غرفتها مع ولي العهد الذي ما كانت تفارقه لحظة وعند الساعة الثانية نعود للرياضة في الحديقة ونرجع منها عند الساعة الرابعة .

ولما قرس البرد آلمنا جداً وتحملنا من شدته كثيراً وكان في حديقة المنزل غرفة واسعة جداً في الطول والعرض سقفها من الزجاج الغليظ زرعوا فيها نباتات لا تنبت في البلاد الباردة فأضرموا تحت الاصص المغروسة فيها النار لتعطيها الحرارة بدرجة معلومة تساعد على نموها ولذلك كان سقفها متشبعاً من الحرارة المتصاعدة ولكي نتخلص من شدة البرد كنا نصعد جميعاً ونجلس على سطح تلك الغرفة لندفأ من حرارة الزجاج ومن أشعة الشمس وقد صنعنا مقعدين من الخشب كنا نجلس عليهما وقضينا طول زمن الشتاء وكان ذلك أحسن ساعات معيشتنا

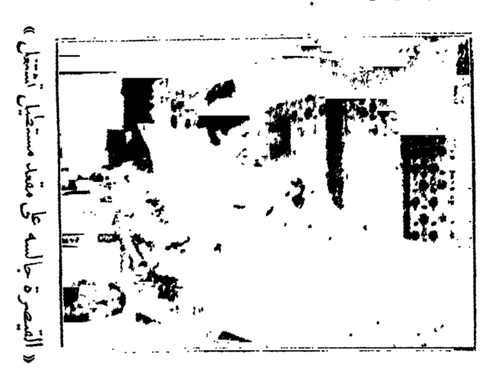


« القيصر وأهل بيته على سطح الغرفة يستدفئون »

كان القيصر يتضجر من قلة العمل والرياضة الجسدية وقد شكا هـذا الامر الى الميرالاي كوبيلينسكي فاهتم هذا بالامر وأمر باحضار عدة أشجار غليظة واشترى عدة مناشير وقدم وقدمها للقيصر فكان سرورنا بها عظيما وغدونا بعد ذلك نشتغل بنشر تلك الاشجار ونتخذ منها حطباً المطبخ ومواقد غرفنا وكنا في شـدة الحاجة الماسة اليه وكنا نجد في هذا العمل المدة وتسلية خلال اقامتنا في توبولسك وحذت حذونا الاميرات فكن يتناوبن نشر الحطب وتقطيعه

وبعد تناول الشاي كنا نشتغل بتدريس الاولاد الذي ينتهي الساعة السابعة والنصف مساء وعند الساعة الثامنة نتناول العشاء وبعد تناول القهوة نصعد الى القاعة الواسعة وكان القيصر من قبلُ دعانا جميعاً الى حضور السهرة عندهم كل ليلة حتى أصبح هذا الامر عادة متبعة لنا وكنا نجد سروراً لا يوصف باحاطتنا للعائلة القيصرية . وهناك كنا نتلاهى بأمور عديدة ويجتهد كل منا باختراع لعبة نلهو بها ونشغل بها الاولاد وبوجه الاجمال كان كل واحد يبذل وسعه لازالة الهموم المتراكمة والاحزان المتلبدة في قلوب افراد تلك الاسرة الكريمة التي سحقها الحزن وأناخت عليها المصائب بكلكلها فلم تدع ولم تذر

ولما قرس البرد حتى تجمدت المياه في كل مكان من شدته لم يعد في الامكان قضاء السهرة في تلك القاعة الواسعة من شدة البرد فاتخذنا لسهرتنا الغرفة المجاورة وكانت اتخذتها القيصرة للاستقبال .



« القيصرة جالسة على مقعد مستطيل تشتغل »

وفي خلال السهرة كان القيصر يقرأ كثيراً ما على مسامعنا والاميرات يشتغلن بعض الاشغال اليدوية أو يلعبن معنا وكانت القيصرة تلعب دوراً أو دورين بلعبة (البيزيك) مع الجنرال تاتيشيف ثم تعود الى الاشتغال بالاشغال اليدوية. هكذا كنا

نحن المحذوفين في مجاهل سيبيريا نقضي أوقات الشتاء بين تلك الاسرة الكريمة الطاهرة

من أشد الامور صعوبة علينا في خلال سجننا في توبولسك انقطاع الاخبار عنا . كانت تصلنا الخطابات نادرة ومتأخرة جدا . وأما الصحف فكنا نطالع منها الصحف المحلية اذا كان يمكن تسميتها صحفاً وما هي في الحقيقة الا نشرات يطبعونها طبعاً سقيما على ورق اللف الثخين وأنباؤها دائماً أبداً متأخرة وكانت تنشر التلغرافات بعد أيام طويلة من صدورها



« القيصر نقولا الثاني والمسيو جيار ينشران جذر شجرة لاتخاذه حطباً »

وكان القيصر يتتبع مجرى الحوادث المتقلبة المضطربة بقلق شديد وارتأى ان البلاد سائرة في طريق الهلاك الاختياري . وكان أحياناً يبدو له بارق أمل ضعيف وكان ذلك عند ما بلغه ان الجنرال كرنيلوف القائد المشهور نصح لكيرنسكي بالزحف

على بتروغراد لوضع حد للحركة البلشفية التي كان أمرها يتفاقم يوماً عن يوم ولكن ما كان أشد حزن القيصر وأسفه عند ما علم ان كيرينسكي رفض هذا الامر الوحيد الذي كان يتوقف عليه انقاذ روسيا من براثن أعدائها وكان يعتقد ان الزحف على بتروجراد هو الوسيلة الوحيدة لاجتناب انقضاض الصاعقة على رأس الوطن .

وفي هذا اليوم سمعت لأول مرة عبارات الندم تخرج من فم القيصر لتنازله عن العرش فقال بصوت متهدج تكاد تخنقه العبرات : انما تنازل عن العرش اعتقاداً منه ان الذين أرادوا كف يده عن الحكم يواصلون بشرف الحرب ولا يعملون لخنق روسيا وتحقيرها في نظر الناس كافة . انه تخوف اذا أبى توقيع صك التنازل تقوم في البلاد حرب شديدة أقل ما فيها انها تكون في مصلحة العدو وحاول القيصر حتى لا تهرق نقطة دم روسي بسببه ولكن ما مضى على تنازله زمن طويل حتى ظهر لينين وزملاؤه المأجورون للألمان بلا ريب ولا شك أولئك المجرمون هدموا كيان الجيش بما نشروه بين الجنود من الانباء الكاذبة والاخبار المختلفة حتى سمموا أجسامهم ومزقوا شملهم وقضوا في النهاية على عزة البلاد وسؤددها وجعلوها عبرة للمعتبرين

واشتد على القيصر تبكيت الضمير ولا سيما لمعرفته الآن ان الضحية التي قدمها بنفسه لم تنجم عنها الفائدة المرجوة . انه ضحى نفسه على مذبح حب الوطن ولكنه في الحقيقة جلب للوطن ضرراً جسيما بتنازله عن عرش أجداده الامجاد الذين رفعوا شأن البلاد وعززوا كلمتها وجعلوا أمم الارض قاطبة تخشى بأسهم بل جعلوا أشد الممالك قوة تطلب ودهم وتعديدها لمصالحهم . وكانت كلما تمثلت هذه الافكار للقيصر تجلب له الكآبة وتضغط على قلبه ضغطاً شديداً ولا أغالي اذا قلت بأن مجرد ذكرها كان يثير عوامل الاحزان في نفسه ويزيد هواجسه الداخلية ويشنج أعصابه

وفي ١٤ نوفمبر علمنا أن الحكومة الموقتة دالت سلطتها وتمزق شمل أفرادها وان السلطة المطلقة أصبحت في يد البولشفيك غير أن هذا الانقلاب الفجائي لم يظهر أثره في معيشتنا الا بعد عدة أشهر حيث وجهوا التفاتهم الينا

مرت الاسابيع والاخبار السيئة يتوالى ورودها علينا ولكننا من جهة أخرى

كنا نجهل الحالة الحقيقية في البلاد ولذلك ما كنا نستطيع أن نحكم على الواقع حكماً قاطعاً ولا آن نقدر الحوادث قدرها وكل ظنوننا للحوادث المقبلة كانت من قبيل الحدس والتخمين والرجم بالغيب ولا عجب في ذلك فقد كنا مقطوعين عن العالم واذا وصلتنا بعض الاخبار الضئيلة عن روسيا لا تشفي غليلا فقد كنا نجهل حقيقة ما يجري في اوربا تماماً .

ولكن هي الايام تدور دورتها وتفعل اليوم ما تجاهلته بالامس ولذلك ما عتمنا حتى رأينا الايدي البلشفية تطاولت الينا وتلاعبت بحراسنا الذين كانوا الى اليوم من أصناف مختلفة : من جنود الطابور الاول والرابع وغيرهما وكانوا جميعهم يحسنون معاملة العائلة القيصرية ولا سيما الاولاد . ويظهرون عواطفهم الشريفة نحوهم . وكانت الاميرات كريمات القيصر بما فطرن عليه من البساطة وسلامة القلب والسجايا الحيدة يجتذبن القلوب اليهن ويكثرن محادثة أولئك الجنود لاعتقادهن ان نفوسهن ونفوسهم مرتبطة بذلك الماضي العزيز وتضرب على وتر واحد رنان . كن يسألنهم عن عائلاتهم وقراهم والوقائع التي اشتركوا فيها في هذه الحرب العالمية . ثم ان اليكسي الذي كانوا يعتقدون انه ما زال ولي عهد مملكتهم كان يجذب اليه قلوبهم ويستميل محبتهم وكانوا هم بدورهم يبذلون ما في وسعهم لعمل ما يسره ويشرح صدره . وكان جنود الطابور الرابع جميعهم من الجنود القدماء الذين مضت عليهم في الخدمة مدة طويلة هؤلاء امتازوا عن غيرهم بالاخلاص والامانة للعائلة المالكة وكانت هذه تشعر بارتياح شديد عند مجيء نوبة هؤلاء الحراس الامجاد . وفي هذه الايام كان القيصر وأولاده يذهبون خلسة لمحلة حراسهم الامناء ويلعبون معهم « بالداما » ومن الغريب المدهش ان هؤلاء الجنود وجلهم من الفلاحين كانوا في خلال اللعب يظهرون آداباً باهرة وأخلاقاً كريمة قلما تظهر من أدعياء المدنية الكاذبة المموهة بطلاء الغرور والبهتان . وفي ذات مرة دخل محلة الحرس المأمور بانكراتوف وشاهدهم على تلك الحالة فجمد في مكانه لعدم توقعه رؤية مثل ذلك المشهد المدهش فألقى على اللاعبين نظرة حادة من وراء نظارته ولم ينبس ببنت شفة .

ولما رأى القيصر حيرته ودهشه دعاه للجلوس معهم على مائدة اللعب ويظهر ان حضرة المأمور لحظ انه لا محل لوجوده في ذلك المكان فتمتم بعض ألفاظ غير مفهومة وقفل راجعاً من حيث أتى والدهش آخذ منه كل مأخذ

ذكرت سابقاً أن بانكراتوف هذا كانت له مبادئ خاصة لا يتنازل عنها وقلت انه رجل فاضل كريم الاخلاق ومن يوم حضوره الى توبولسك جعل في أكثر الاحيان يجمع الجنود ويلقي عليهم دروساً في الحرية الشخصية باذلاً كل وسعه لانماء مبادئ الوطنية الصحيحة في نفوسهم المرتكزة على دعائم الحرية الشخصية كان يفعل ذلك معتقداً انه يقود الجنود الى حقائق الحرية الصحيحة ولكن مع الأسف أقول ان كل مجهوداته ذهبت عبثاً وأنتجت نتيجة معكوسة وبقطع النظر عن انه كان من أشد أعداء البلشفية فانه لم يحسب حساباً لعواقب تلك التعاليم التي كان يبثها في نفوس الجنود فانه اعد فيها أميالهم للحرية التي اذا سلمت لمن لا يدرك ماهيتها أساء استعمالها وفعلاً فانه ساعد على نشر مبادئ البلشفية المتطرفة التي سممت الافكار بسم الاستيلاء على أموال الاغنياء وقصور الامراء وكان حضرة الاستاذ المأمور أول ضحية وقعت في يد البلشفية

أما جنود الطابور الثاني فعرفوا بمبادئهم الثورية وفي قصر تسارسكويه سيلو سببوا لنا أحزاناً كثيرة لتحرشهم بنا بغير سبب وبعد الانقلاب البلشفي انتفخت اوداجهم وتاهوا كبراً واعجاباً وخصوصاً بعد أن أتيح لهم الانتظام في سلك «النادي العسكري» الذي جعل يبذل مجهوداته لاختلاق الامور المكدرة لنا ووضع العراقيل في مجرى حياتنا وسعى جهده لفصل الميرالاي كابيلنسكي واستبداله بأحد أعضاء ناديهم العسكري واني هنا أورد مثالاً من مناوأة النادي العسكري واظهاره العداء لنا واليك البيان . قدمت توبولسك البارونة بوكسهيدن (في أواخر ديسمبر على الحساب الشرقي) التي شاطرتنا الاحزان في سجن تسارسكويه سيلو ولم تستطع اذ ذاك السفر معنا بداعي مرض ألمّ بها ولما تعافت أسرعت بالسفر الينا باذن خاص من كيرينسكي لتكون بمعية الامبراطورة فأمر النادي العسكري بمنعها من الانضمام الينا والسكنى معنا فاضطرت

الى السكنى في وسط المدينة الأمر الذي أحزن القيصرة وجميع أفراد العائلة القيصرية الذين كانوا ينتظرون قدومها بفروغ صبر

على هذا المثال عشنا حتى عيد الميلاد وماتلاه من الاعياد السيدية الاخرى

وكانت القيصرة وكريماتها قد شرعن منذ مدة طويلة يشتغلن بأيديهن هدايا للعيد لكل واحد منا وللخدم . فأهدتنا القيصرة قمصاناً داخلية من الصوف اشتغلتها بيديها اتقدمها للذين اختاروا بأنفسهم السجن الاختياري اعترافاً منها بفضلهم وتقديراً لشعورها نحوهم

وفي ٢٤ دسمبر حضر الكاهن وأقام صلاة نصف الليل و بعد نهايتها اجتمعنا كلنا في القاعة الواسعة . وما كان أشد سرور وابتهاج الاولاد عندما جعلوا يفاجئون كل واحد منا بهديته المعدة له من قبل . وقد شعرنا اذ ذاك بأننا نؤلف جميعنا عائلة واحدة كبيرة وحاولنا أن نتناسى ولو موقتاً ما قاسيناه من قبل من الاحزان وما تحملناه من الاهوال وأجمعت كلمتنا بل حملتنا قلوبنا الى التلذذ بدقائق اجتماع الشمل السعيدة التي لا تفوقها سعادة في الدنيا وكانت أوتار أنفسنا تضرب على نغمة الاخلاص والمحبة التي قلما يدرك الناس كنهها . أما نحن فشعرنا بها وتمنينا لو تدوم هذه السعادة التي ما كنا شعر معها بآلام السجن وعذاب الذل والخضوع . وفي اليوم التالي ذهبنا الى الكنيسة ولما دخلناها أمر الكاهن الشماس . نشد صلاة « سنين عديدة » للعائلة القيصرية . وكان عمل الكاهن هذا بدون روية ولا تبصر بالعواقب الوخيمة . ولا بما يناله عليه من العقاب . و بالفعل فقد انقض على رأسه سخط النادي العسكري وصمموا على فصله وأمروه أن ينقض كلام الشماس وهددوه بالموت ان لم ينفذ أمرهم وكان ذلك سبباً في ضياع بهجة العيد وحزننا الشديد في ذلك اليوم المجيد

وقد عدت ابتداء من ١٤ يناير سنة ١٩١٨ الى كتابة مذكراتي التي انقطعت عن تدوينها منذ قدومنا الى توبولسك . ومما تقدم يعلم القراء انني وصفت في تلك المذكرات معيشتنا في سجن تسارسكويه سيلو

الاثنين في ١٤ يناير (أول يناير على الحساب الشرقي) ذهبنا اليوم صباحاً الى

الكنيسة حيث قام بخدمة القداس كاهن جديد ذلك لأن الكاهن السابق الأب فاسيلي حوكم بسبب دعائه للعائلة القصرية « سنين عديدة » وحكم عليه رئيس الاساقفة جيرموجن بالسجن داخل دير أبالانسكي

الاربعاء ١٦ يناير — اجتمع اليوم عند الساعة الثانية بعد الظهر أعضاء النادي العسكري من حاميتنا وقرروا بأغلبية ١٠٠ صوت على ٨٠ منع الضباط والجنود من وضع الاشارات العسكرية على ملابسهم

الخميس ١٧ يناير — جاء اليوم الميرلاي كوبيلنسكي الى محلة الحراس وكان مضطرباً وخجولاً لارتدائه بذلته العسكرية بدون اشارات

الجمعة ١٨ يناير — جاء اليوم الى منزلنا عند الساعة الثالثة الكاهن الجديد والمرتلون الذين حلوا محل الاربع راهبات السابق ذكرهن وأقام صلاة تقديس الماء وبعد نهايتها جعلنا نتقدم واحداً واحداً الى الكاهن ونقبل الصليب ولما جاء دور ولي العهد اليكسي انحنى عليه الكاهن وضمه الى صدره وقبل جبهته . وبعد تناول طعام العشاء تقدم الجنرال تاتيشيف والبرنس دولغوروكوف من القيصر وطلبا اليه بلطف ان ينزع عن بذلته الاشارات تجنباً لسخط ومضايقة أعضاء النادي العسكري . فاكفهر وجه القيصر وشعر باضطراب داخلي شديد ثم تبادل النظرات مع القيصرة وهمس في أذنها بعض كلمات ولكننا ما عتمنا حتى رأينا السكينة تعود اليه وصدع بالامر ونزع الاشارات العسكرية دون ان يفوه بلفظة .

السبت ١٩ يناير

ذهبنا اليوم صباحاً الى الكنيسة وقد ارتدى القيصر المعطف القوزاقي الذي يلبس عادة بدون اشارات وأما ولي العهد فانه أخفى اشاراته العسكرية تحت ذيول قبعته التي كان يسدلها اتقاء البرد . وقالت لي اليوم القيصرة انها مع القيصر تدعوانه الى شرب الشاي في المساء وبناء على ذلك بقيت هناك لحد الساعة العاشرة وفي هذا الوقت عادة كانت تذهب الاميرات الى غرف نومهن وأما ولي العهد فكان دائماً ينام عند الساعة التاسعة .

وكان يحضر شاي المساء عادة الكونتيسة هندريكوفا والجنرال تاتيتيف والبرنس دولغوروكوف ثم أحياناً السيدة شنيدر والدكتور بوتكن اذا سمحت لها أعمالها .

كنا نجلس جميعاً حول مائدة الشاي والقيصرة نسكب الشاي لكل واحدمنا وتقدمه لنا بنفسها . ان هذه الساعات التي كنا نقضيها بأحاديث خالية من التصنع والكلفة كأحاديث أفراد عائلة مرتبطين ببعضهم بوثاقات المحبة الشديدة الخالصة مست سويداء قلبي وجعلتني أدرك ما يكنّه قلب القيصرة والقيصر من الطيبة المتناهية وما هما عليه من الصفات السامية — جعلتني أدرك جمال وعظمة نفسيهما ودفعتني الى التعلق بهما والاستعداد في كل آونة لتقديم نفسي ضحية عنهما .

وأنا الآن الرجل الوحيد الذي بقيت على قيد الحياة من أولئك الاعزاء الذين كانوا يحضرون حول مائدة شاي المساء في تو بولسك . واني أشهد الله انه كلما تمثلت لي تلك التذكارات وكلما جالت في مخيلتي ينقبض فؤادي وتساورني الهموم والاحزان ويترقرق الدمع في عينيّ .

الاثنين ٢١ يناير — نزل في الليل ثلج كثيف وشرعنا في اليوم التالي نبني جبلا من الثلج (١)

الجمعة ٢٥ يناير (١٢ يناير على الحساب الشرقي) يوم عيد اسم الاميرة تاتيانيا . فأقمنا صلاة دعاء في المنزل وهنأنا صاحبة العيد . وقد برزت الشمس في ذلك اليوم الشتوي الشديد البرد الذي نزل فيه البارومتر ١٥ درجة تحت الصفر . فخرجنا لانجاز بناء جبل الثلج الذي شرعنا فيه من قبل وجاء الجنود من محلّهم وجعلوا يساعدوننا

الاربعاء ٣٠ يناير — جاء اليوم جنود الطابور الرابع لحراستنا بدورهم فذهب القيصر والاولاد الى محلّهم وحادثوهم طويلا

---

(١) من ألذ الالعاب الرياضية في روسيا في فصل الشتاء انه عند ما يتساقط الثلج يجمع الاولاد الثلج ويصنعون منه جبلا ثم يصبون الماء عليه فيتجلد ويصبح كجبل من بلور عالي الارتفاع ثم يصعد اللاعب الى رأس هذا الجبل ويجلس في عربة لا عجل لها فتندفع به بقوة الى مسافة بعيدة

السبت ٢ فبراير — خرجت أنا والبرنس دولغوروكوف وحملنا الماء وصببناه على جبل الثلج وقد نقلنا ثلاثين دلواً . وكان البرد شديداً في ذلك النهار بحيث سقطت درجة الميزان الى ٢٣ درجة تحت الصفر ومن المدهش الغريب للذين لم يألفوا هذه الامور اننا كنا نأخذ الماء من حنفية المطبخ فتجمد في الدلاء قبل وصولنا للجبل وكان البخار يتصاعد من الدلاء ومن الجبل وقلنا ان أولاد القيصر سيتدحرجون منذ الغد

الاثنين ٤ فبراير - نزل ميزان الحرارة في هذه الليلة الى ٣٠ درجة تحت الصفر وهبت عواصف ثلجية شديدة وأصبحت الغرفة التي تجتمع فيها الاميرات مساء عبارة عن جليد فدنفن من البرد .

الاربعاء ٦ فبراير — قرر جنود الطابور الثاني فصل المأمور بانكراتوف ومساعده نيكولسكي من وظيفتهما

الجمعة ٨ فبراير — وقرر أولئك الجنود استبدالهما بمأمور بلشفي من موسكو . وعلمنا اليوم أيضاً انه انتهت حالة الحرب بين حكومة السوفيت الروسية من جهة وبين المانيا والنمسا و بلغاريا من جهة أخرى وان الجنود توقفوا عن الحرب ولكن لينين وتروتسكي لم يوقعا شروط الصلح بعد .

الاربعاء ١٣ فبراير — قال لي القيصر اليوم لقد صدرت الاوامر بتسريح الجيش وفعلا سرحوا كثيرين وعليه فانه سيتركنا عن قريب جنودنا الاعزاء المتقدمون في السن . ورأيت الاضطراب بادياً على وجه القيصر لتخوفه بأن استبدال حراسنا بغيرهم يؤثر علينا تأثيراً رديئاً فيما بعد

الجمعة ١٥ فبراير — بدأ قسم من الجنود يسافرون وقد جاءوا خلسة وودعوا العائلة القيصرية . وعندما كنا جالسين مساء على الشاي أعرب الجنرال تاتيشيف عما يخالج فؤاده من السرور العظيم لما يراه من العيشة الودية التي ربطت القيصر والقيصرة وأولادهما برباطات الحب المتبادل الذي يفوق حد الوصف وانه لم ير عائلة في حياته أخلص أفرادها المحبة لبعضهم وقد أيقن الآن ذلك ورآه رأي

العين و بناء على ذلك فانه ينقض كل فرية توجه اليها . فالتفت القيصر الى القيصرة مبتسما وقال لها : « أما سمعت ما قاله الآن تاتيشيف » ثم التفت الى الجنرال وقال ببساطته المعروفة و بدون رياء : « اذا كنت أنت ياتاتيشيف قائدي الخاص الذي خدمني بأمانة مدة طويلة وأتاحت لك الظروف الوقوف على كل شيء من أحوالنا ومعيشتنا ومع ذلك تقول انك ما عرفنا بما وصفتنا به الا اليوم فكيف تريد بعد ذلك أن نتكدر مما يقولونه وما تكتبه الصحف عنا من الافتراءات والاكاذيب والمخازي التي يختلقها أولئك الاشخاص ضدنا بقصد ترويج مبادئهم وجر النفع لنفوسهم . الحق أقول لك انه ما خطر لي مرة بعد تلاوة تلك السخافات أن أتكدر بل كنت أضرب بها عرض الحائط

الاربعاء ٢٠ فبراير — أخبرني القيصر اليوم ان الالمان استولوا على ريفيل وروفنو وغيرها وانهم يزحفون على جميع خط القتال بدون ان يروا أدنى مقاومة قال لي ذلك بصوت متهدج مضطرب .

الاثنين ٢٥ فبراير — وصلت اليوم اشارة برقية للميرالاي كوبيلنسكي يقولون له فيها . انه ابتداء من أول مارس يجب أن تعين انقولا رومانوف وأفراد عائلته تعيينات كالجنود فيتناولون مرتبات شهرية وقد عينا لكل فرد منهم ٦٠٠ روبل في الشهر تدفع لهم من فائدة أموالهم

ومما تجب الاشارة اليه هو أن الحكومة الروسية كانت تقوم لحدهذااليوم بجميع نفقات العائلة القيصرية وأما بعد هذا الامر فانهم مضطرون أن يعيشوا كلهم بمبلغ ٢٤٠٠ روبل في الشهر

الثلاثاء ٢٦ فبراير — طلبت الي القيصرة أن أساعدها في حساب النفقات اليومية وقالت أنها تمكنت من اقتصاد مبلغ زهيد من النقود التي وصلت اليها .

السبت في ٢٧ فبراير — قال لنا القيصر ضاحكا . بما أن الامر وصل الى هذا الحد والجميع ينشئون لجانا للنظر في أعمالهم فيجب علينا أن ننشيء لجنة لتدبير شؤوننا المالية . وقال ويجب تأليف اللجنة من الجنرال تاتيشيف والبرنس دولغوروكوف

والاستاذ جيار . فصدعنا بالامر وعقدنا جلسة في ذلك النهار وقررنا ما يأتي :

الاستغناء عن عشرة من الخدم وكان كثيرون من هؤلاء استقدموا عائلاتهم الى تو بولسك . والحق يقال فان حالتنا المالية أصبحت حرجة ينقبض من هولها الفؤاد. ولما أبلغنا قرارنا للقيصر والقيصرة رأينا أننا أخطأنا بابلاغهما ذلك فقد أبصرنا الحزن قد ارتسم على وجهيهما بسبب هؤلاء الخدم الذين نقودهم الى الفقر المدقع بسبب اخلاصهم لولي نعمتهم

الجمعة ١ مارس — دخلنا اليوم في دور جديد من المعيشة حيث حذفنا من اليوم عن مائدتنا القهوة والزبدة لأنهما أصبحتا بالنسبة الى حالتنا المالية من الكماليات التي يجوز الاستغناء عنها .

ومن ذلك اليوم جعلت اللجنة الاقتصادية تكتب على لوحة أعدتها لهذا الغرض أصناف الاطعمة التي يجب طبخها في اليوم التالي وهاك أيها القارئ مثالا منها :



19 Апреля 1918г

Завтракъ

Борщъ

[illegible]

съ гарниромъ

Обѣдъ

Печеный картофель

съ масломъ

[illegible]

съ гарниромъ

٢٥ / ١٢ ابريل سنة ١٩١٨

« الغداء »

بورش (حساء روسي)

كفته بقري مع الخضار

« العشاء »

بطاطس مقليه بالزبده

جامبون خنزير مع الخضار

الاثنين ٤ مارس — قرر النادي العسكري هدم جبل الثلج الذي بنيناه وذ كرنا ذلك آنفاً (مع العلم ان وجوده كان مجلبة لسرور وتلاهي الاولاد) بسبب صعود

القيصر والقيصرة عليه ليبصرا ولو من بعيد سفر جنود الطابور الرابع . ومن هذا اليوم جعلوا يستنبطون أنواع المعاكسات والمضايقة للعائلة القيصرية وللاشخاص المقربين اليها فأصبح الواحد منا لا يستطيع الخروج من البيت الا برفق جندي ويظهر انهم سيحرموننا من ظل الحرية الاخير .

الثلاثاء ٥ مارس — جاء الجنود أمس كقطاع الطرق الاشرار وهدموا الجبل بالمعاول وقد جمدت أفئدة الاولاد من الحزن ويظهر ان الجنود شعروا بسفالة عملهم .

الجمعة ١٥ مارس — لما بلغ أهالي توبولسك ما وصلت اليه حالتنا المالية تأثروا تأثراً شديداً وبذلوا ما في وسعهم لمساعدتنا وجعلوا يقدمون لنا البيض والحلويات والفطائر وغير ذلك .

الاحد ١٧ مارس — قامت في المدينة ضجة المرافع . وعم السرور جميع الاهالي وارتفعت أصوات الاجراس والطبول وآلات الطرب والاغاني الخ ... فاستولى الحزن الشديد على أولاد القيصر الذين كانوا يروحون ويجيئون في فناء المنزل المحاط بسياج خشبي عال فكانوا كالعصافير داخل القفص ومن ذلك اليوم الذي هدموا فيه جبلهم كانوا يتلاهون بنشر وتقطيع الحطب .

ومما زاد الطين بلة ان الجنود الجدد كانوا على جانب عظيم من السفالة التي لا يمكن تصورها . فقد استبدلوا الجنود الذين سافروا بجنود شبان على جانب عظيم من الخلاعة وفساد الاخلاق وكان القيصر والقيصرة يريان زيادة الحالة تحرجاً ومع ذلك فكانا يعتقدان بأنه لا بد من وجود ولو عدة رجال مخلصين لهم يسعون لتحريرهم من هذا السجن الشديد . والحق يقال فان الظروف الحاضرة كانت من أشد الظروف مناسبة للهرب

وكنا نحن نعلق حبال الآمال على مساعدة الميرالاي كوبولينسكي في هذا الامر لأنه من الرجال الذين يصح الاعتماد عليهم وكان من السهل جداً خداع حراسنا الذين أرغموا على قبول وظيفتهم . ويكفي لتنفيذ ذلك وجود عدة رجال شجعان من الخارج للقيام بذلك وقد عزمنا مراراً على تهريب القيصر وأسرته

عليه أن يكون على أهبة الاستعداد لذلك فقال انه يوافقهم على أفكارهم بشرطين أولهما : عدم موافقته على الهرب بدون عائلته وثانيهما عدم الخروج من روسيا وفي ذلك ما فيه من الصعوبة .

قالت القيصرة لي يوماً بهذا الصدد : « انني لا أوافق مطلقاً على مغادرة روسيا ولا يوجد شيء في الدنيا يحملني على قبول ذلك و يظهر لي اننا اذا سافرنا الى خارج البلاد فاننا نقطع كل أمل بما كان يربطنا مع البلاد من قبل اذ ذاك أشعر ان ذلك الماضي يموت موتاً أبدياً »

الاثنين ١٧ مارس — أخذت العائلة القيصرية تستعد كجاري عادتها لمناولة الاسرار الالهية بداعي حلول الاسبوع الاول من الصوم الكبير المقدس . وكانوا يحضرون الصلاة في الكنيسة في الصباح والمساء وبما أن المرتلين مشغولين جداً في هذا الاسبوع ولا يستطيعون الحضور الى المنزل فكانت القيصرة وكريماتها ينشدن بأصواتهن الرخيمة الاناشيد والصلوات الروحية

الثلاثاء ١٩ مارس — تناولنا في حديثنا بعد الغداء معاهدة بريست ليتوفسك التي أمضيت من عهد قريب فقال القيصر بصددها ما يأتي : « هذه المعاهدة عار على روسيا وهي بمثابة انتحار لها . انه ما كان يخطر على بالي بل ما كنت أصدق قبل الآن ان الامبراطور غليوم ورجال الحكومة الالمانية يتسفلون لمصافحة أيدي أولئك الرجال الانذال الذين باعوا وطنهم ببيع السلع . ولكنني واثق بأن هذا لا يجلب لهم السعادة لأنه ليس بمثل هذه الوسائل ينقذون وطنهم من الهلاك والدمار »

و بعد هنيهة ساد فيها السكون قال البرنس دولغوروكوف ان أنباء الجرائد تفيد ان في تلك المعاهدة مادة يطلب فيها الالمان تسليم العائلة القيصرية لهم بدون أن يلحقها ضرر . فأجاب القيصر على ذلك . « أرى أن الالمان يقصدون بهذه المناورة تحقيري في نظر الشعب الروسي وانهم بهذا وفي كل مقصد آخر لهم يهينونني اهانة شديدة » وزدت القيصرة على ذلك بصوت منخفض : بعد أن فعلوا بالقيصر ما فعلوا فاني أفضل أن أموت في روسيا على أن ينقذني الالمان

الجمعة ٢٢ مارس — بعد صلاة العشاء أتم الجميع سر الاعتراف : الاولاد فالخدم فالحاشية وأخيراً القيصر والقيصرة .

السبت ٢٣ مارس — ذهبنا اليوم الساعة الرابعة والنصف صباحاً الى الكنيسة وتناولنا القربان المقدس .

الثلاثاء ٢٦ مارس ـ وصلت من أومسك شرذمة من الجنود الحمر عددها مائة وكانت هذه الحامية الجديدة لمدينة توبولسك من الجنود البلشفيك وبحضورهم أنقطع كل رجاء لنا بالهرب غير أن القيصرة قالت لي : ان عندها أسباب تدعو الى الاعتقاد بأن بين هؤلاء الجنود كثيراً من الضباط السابقين وأكدت أيضاً بدون أن تبوح بمصدر روايتها انه اجتمع في تيومن ٣٠٠ ضابط

الثلاثاء ٩ ابريل ـ طلب المأمور البلشفي الذي حضر على رأس الجنود الحمر من أومسك دخول المنزل لتفتيشه . ولكن جنود حرسنا أبوا اجابة طلبه . وقد اضطرب الميرالاي كوبيلينسكي لهذا الامر لأنه خشي وقوع مصادمة بين الفريقين وفي الحقيقة فقد اتخذ كل من الفريقين الاحتياطات اللازمة. وضاعف الحراس قوتهم وقضينا تلك الليلة والهلع آخذ منا كل مأخذ .

الاربعاء ١٠ ابريل — في هذا اليوم اجتمع كل الجنود المعهود اليهم حراستنا فتقدم المأمور البلشفي اليهم وأطلعهم على أوراق تعيينه الرسمية الناطقة بتفويضه بعمل كل ما يريد تفويضاً مطلقاً وان له الحق بعد انقضاء أربع وعشرين ساعة باعدام كل من يقاوم الاوامر الصادرة له رمياً بالرصاص وبدون محاكمة فصرحوا له بعد هذا بدخول المنزل .

الجمعة ١٢ ابريل — مكث ولي العهد في سريره لانه شعر من الامس بألم شديد في حالبيه مع انه قضى كل فصل الشتاء صحيحاً معافى . وعاد اليوم من موسكو أحد الجنود الذي أرسل اليها من قبل حراسنا ودفع الى الميرالاي كوبلينسكي أمراً من المجلس المركزي التنفيذي بالتشديد علينا . وفي هذا النهار نقلوا الى منزلنا الجنرال تاتيشيف والبرنس دولغوروكوف والبارونة هندريكوفا وأمروهم بألا يخرجوا منه

وأخبرونا أيضاً بأنهم ينتظرون سريعاً قدوم مأمور مع عدد كبير من الجنود مزوداً بأوامر مشددة .

السبت ١٣ ابريل -- جميع النازلين في منزل التاجر كورنيلوف وهم : البارونة هندريكوفا والسيدة شنيدر والجنرال تاتيشيف والبرنس دولغوروكوف وصديقي الانجليزي جيبس الذي انضم الينا في توبولسك كل هؤلاء نقلوهم الى منزلنا وأما الدكتوران بوتكن وديريفينكو فتركوهما حرين . وفي هذا اليوم اشتدت آلام ولي العهد .

الاثنين ١٤ ابريل — تحمل ولي العهد أمس واليوم آلاماً مبرحة حيث أصيب بنوبة شديدة من نوبات الهيموفيليك

الثلاثاء ١٥ ابريل — حضر الميرالاي كوبيلينسكي وضابط من الحرس وعدة جنود لتفتيش المنزل . ونزعوا الخنجر الذي كان يحمله القيصر فوق بزته القوزاقية

الاثنين ٢٢ ابريل — قدم اليوم مأمور من موسكو مع شرذمة من الجنود يدعى ياكوفليف فأوقع الخوف والوجل في نفوس الجميع وأنذرنا قدومه بشر مستطير

الثلاثاء ١٣ ابريل ـ حضر عند الساعة الحادية عشرة المأمور ياكوفليف وطاف جميع غرف المنزل ثم دخل على القيصر وسار معه الى غرفة ولي العهد الذي ما زال طريحاً في الفراش . ثم بعد مدة عاد ودخل غرفة ولي العهد مع مساعده ليرى هذا ان ولي العهد مريض حقيقة ولما خرج سأل رئيس الحرس هل عندنا أشياء كثيرة فشعرنا من سؤاله هذا انهم يريدون تسفيرنا من هنا .

الاربعاء ١٤ ابريل ـ ظهرت علينا الكآبة اليوم بأتم مظاهرها وترا كمت علينا الهواجس وكانت الافكار تدفع بعضها بعضاً فقد أصبحنا نسياً منسياً وأمسينا في قبضة ذلك الرجل وقلنا هل يصح ان لا يحاول أحد انقاذ العائلة القيصرية . أين أولئك الذين ما زالوا أمناء للقيصر ؟ ولماذا يتأخرون ؟

الخميس ٢٥ ابريل ـ عند الساعة الثالثة صادفت في فناء المنزل خادمين يبكيان بكاء مراً ويصعّدان الحسرات والتأوهات وقالا لي : ان ياكوفليف أعلن القيصر بأنه

سينقله وحده من هنا . فوجمت منذهلا وقلت ماذا يجري هنالك ولم أعزم على الصعود الى فوق بدون دعوة فرجعت الى غرفتي وما عتمت حتى سمعت بابها يطرق والاميرة تاتيانيا تدعوني وعيناها مغرورقتان بالدموع لمقابلة أمها في الحال . فسرت وراءها فوجدت القيصرة وحدها وقد علاها صفرة الوجل فبادرتني بقولها : ان ياكوفليف حضر من موسكو خصيصاً لنقل القيصر وحدد له السفر في تلك الليلة ثم قالت وأكد لي ذلك المأمور بأنه لا يصيب القيصر أدنى ضرر وانه لا يمانع فيما اذا أراد أحد أن يسافر معه . ثم قالت اني لا أصرح أبدا بسفر القيصر وحده . يريدون الآن أن يفصلوه عن عائلته كما فعلوا معه ذلك من قبل .... يريدون ارغامه على السير في طريق أعوج مهددين اياه بقتل أقرب الناس اليه ... ان القيصر ضروري لهم . هم يعلمون انه وحده يمثل روسيا ... واذا كنا معاً تسبل علينا مقاومتهم . ويجب أن أكون معه في هذه التجربة الاخيرة ... ولكن ما العمل وولي العهد ما زال مريضاً . ما أمرّ هذه الحالة وما أشدها هولا على قلبي . رباه ما العمل ، اني لم أصادف أشد من هذا طول أيام حياتي . اني والحق يقال لا أدري ماذا أفعل ، وكنت من قبل اذا عزمت على أمر أجد في نفسي عاملا داخلياً يدفعني اليه ولكني الآن لا أشعر بشيء فقد جمدت حواسي وأرجو ان الله لا يسمح بهذا السفر . ويجب منعه بكل ما أوتينا من قوة . اني واثقة بأنه في هذه الليلة يتكسر الجليد ويعسر اذ ذاك السفر . »

فقالت الاميرة تاتيانا : « أماه يجب ان نعزم على أمر معين فيما اذا كان لا بد من سفر أبي . » فأيدت نظرية الاميرة وقلت مسكناً روع القيصرة : ان صحة ولي العهد تحسنت اليوم واننا هنا نهتم بشأنه ونعتني به بكل مقدورنا. فلحظنا ان القيصرة تتعذب بين الايجاب والسلب . فجعلت تسير في الغرفة ذهاباً واياباً وأخيراً دنت مني وقالت : « خطر على بالي فكر حسن وهو اني أسافر مع القيصر وأعهد اليك العناية بولي العهد . »

و بعد دقيقة دخل القيصر . فاندفعت القيصرة نحوه وقالت : « قضي الامر

فقد صحت عزيمتي على السفر معك ونسافر ماريا معنا أيضاً» فأجابها القيصر « حسناً اذا كنت تريدين ذلك »

فعدت الى غرفتي وقضيت سحابة يومي في التأهب . وتقرر ان يرافق عظمتهما البرنس دولغوروكوف والدكتور بوتكن وكذلك تشيمودوروف خادم القيصر الخاص وحنة ديميدوفا وصيفة القيصرة وسيدنيف خادم الاميرات .وسيتولى حراستهم ثمانية من ضباط حرسنا وعدة جنود

ثم ذهبت العائلة القيصرية الى غرفة ولي العهد ولبثت بجانب سريره الى المساء وعند الساعة العاشرة والنصف صعدنا الى الدور الأعلى لتناول الشاي . فجلست القيصرة على المقعد بين كريمتيها وقد بكين كلهن بكاء مراً حتى ان وجوههن تورمت من سكب الدموع وكان كل منا يحاول اخفاء حزنه ويتظاهر بالسكينة . وكذلك كان القيصر والقيصرة ويظهر عليهما انهما مستعدان لكل تضحية وتقديم نفسيهما ضحية لانقاذ الوطن اذا كان الله قضى بعلمه السابق بذلك .وأظهرا نحونا انعطافاً شديداً مس لباب قلوبنا

وعند الساعة العاشرة والنصف اجتمع الخدم في القاعة الكبيرة . وجعل القيصر والقيصرة والاميرة ماريا يودعونهم وقبّل القيصر الرجال وقبّلت القيصرة النساء وارتفعت اصوات الجميع بالبكاء

ونحو الساعة الرابعة صباحاً جاءت العربات اذا كان يجوز تسميتها بهذا الاسم لأنها عبارة عن عربات نقل الخاصة بالفلاحين مؤلفة من سلة طويلة مجدولة من قضبان الشجر الرفيعة معلقة من جانبيها على خشبتين طويلتين . ووجدنا في الساحة الواقعة أمام المنزل كومة من القش ففرشناه على أرض العربات ليستطيع المسافرون الجلوس ووضعنا فرشة في العربة المعدة لركوب القيصرة . ثم صعدنا الى الدور الأعلى لوداع القيصر والقيصرة فرأيناهما خارجين من غرفة ولي العهد فودعناهم بدموع الحزن وكانت القيصرة والاميرات يبكين وأما القيصر فرغماً عما أصابه من الحزن فكان يتظاهر بالاطمئنان ويجد لكل واحد منا كلمة تنشيط ثم ضم كل واحد منا الى صدره

وقبله . ودنت القيصرة لتودعني وطلبت الي أن لا أتبعهم الى ساحة المنزل وأن أبقى عند ولي العهد فصدعت بأمرها . فدخلت عليه وألفيته يبكي في فراشه و بعد برهة وجيزة سمعنا أصوات العربات المسافرة و بعدها مرت الاميرات أمام غرفة شقيقهن نائحات باكيات .

السبت في ٢٧ ابريل ـ عاد الرجل الذي عهد اليه بالسير بجانب عربة القيصرة بعد أن سار مرحلة وأحضر رسالة من الاميرة ماريا قالت فيها : ظروف السفر صعبة جداً لا تطاق وقد تحطمت أجسامنا وسلمنا أمرنا لله . ولما تلوناها أذرفنا الدموع وقلنا هل تستطيع القيصرة مواصلة السفر وشعرنا بانقباض شديد وحزن زائد وغرقنا في بحر من الافكار

الاحد ٢٨ ابريل ـ وصلت اشارة برقية الى الميرالاي كوبيلينسكي تنبئه بأن الجميع وصلوا سالمين الى تيومين مساء السبت . ثم وصلت الينا اشارة برقية خاصة بعد سفرهم من تيومن جاء فيها: تحسنت أحوال السفر. كيف حال اليكسي. الرب معكم.

الاثنين ٢٩ ابريل ـ وصلت الاولاد رسالة من القيصرة من تيومن وصفت فيها ما صادفوه من متاعب الطريق ومما قالته أنهم لما قطعوا النهر بتلك العربات المشؤومة خاضت الخيل في الماء حتى صدورها

الاربعاء أول مايو ـ نهض اليوم ولي العهد من السرير وحمله خادمه ناغورني ووضعه على مقعد مستطيل

الخميس ٢ مايو ـ انقطعت عنا أخبارهم بعد قيامهم من تيومن . وتساءلنا أين هم الآن يا ترى . هل ساروا بهم الى موسكو أم الى جهة أخرى

الجمعة ٣ مايو ـ وصلت اشارة برقية الى الميرالاي كوبيلنسكي تنبئه بأنهم نزلوا في ايكاتيرينبورج

السبت ٤ مايو ـ السبت العظيم ولكن كابوس الحزن كان ضاغطاً على النفوس

الاحد ٥ مايو ـ عيد الفصح المجيد ـ حزن وبكاء وعويل . ـ راحيل تبكي على أولادها ولا تريد ان تتعزى لأنهم غير موجودين

الثلاثاء ٧ مايو ـ وصل الاولاد خطاب من ايكاتيرينبورج جاء فيه أنهم جميعاً بصحة جيدة ولكنه لا يشير الى سبب بقائهم في المدينة وروى انه لما وصلت العربة المقلة للقيصر الى ايكاتيرينبورج أحاطت بها شرذمة من الجنود الحمر . وان القيصر والقيصرة والاميرة ماريا مسجونون في بيت ايباتييف والبرنس دولغوروكوف زجَّ في السجن

السبت في ١١ مايو ـ فصلوا الميرالاي كوبيلنسكي وسفّروه وبقينا نحن تحت وحمة مجلس سوفيت توبولسك

الجمعة ١٧ مايو ـ استبدلوا حراسنا الامناء بالجنود الحمر الذين أحضرهم من ايكاتيرينبورج المأمور روديونوف . وقدجاء هذاخصيصاً لنقلنا ورأيت أنا مع الجنرال تاتيشيف أن نؤجل سفرنا أياماً ولكن الاميرات أبين ذلك وألححن بوجوب السفر في الحال للانضمام الى والديهم فلم نستطع مقاومة عزمهن وارادتهن

السبت ١٨ مايو ـ أقمنا صلاة نصف الليل ولما حضر الكاهن والراهبات نزعوا عنهم ملابسهم العليا وفتشوهم تفتيشاً دقيقاً بأمر المأمور .

الاحد ١٩ مايو ـ يوم عيد ميلاد القيصر . حددوا اليوم التالي اسفرنا . ومنع المأمور الكاهن من المجيء الينا ومنع الاميرات من قفل باب غرفتهن في الليل .

الاثنين ٢٠ مايو — تركنا المنزل عند الساعة الحادية عشرة والنصف وركبنا الباخرة « روس » التى حضرنا عليها منذ ثمانية أشهر الى توبولسك . وصرحوا للبارونة بوكسهيدن بالسفر معنا وأقلعت بنا الباخرة عند الساعة الخامسة.وجاء المأمور روديونوف وزج ولي العهد وخادمه ناغورني في قمرة وقفل عليهما الباب فاحتججنا بشدة على هذا الامر وقلنا الغلام مريض والطبيب يجب أن يراه في كل دقيقة

الاربعاء ٢٢ مايو ـ رست بنا الباخرة صباحاً في تيومن و بعدعدة ساعات سفر بالسكة الحديد وصلنا الى ايكاتيرينبورج .

الخاتمة

حوادث ايكاتيرينبورج وما جرى فيها بعد ذلك معلومة للقارىء فقد أجملناها في الفصل الاول .

ان مدينة ايكاتيرينبورج مصدر التذكارات المؤلمة والتخيلات المحزنة . هي لي مكان الفراق . ولهم مكان الاحزان والقساوة الوحشية . هي كانت طرف جبل صليب الحياة الاخيرة المملوءة بمرارة العذاب والانتقال منها الى الابدية .

.... لم يزل يضيء في روسيا شهابان ساطعان . سيسطع منهما في الليلة الظلماء لهيب الحقيقة . أحدهما جيش المتطوعين في الجنوب ومع ان هذا الجيش قليل العدد ولكنه قوي بالروح تقاومه باشارة المانيا عصابات السوفيت . وثانيهما القيصر نقولا الثاني الذي وقف وقفة البطل الشجاع طول أيام سجنه لمصلحة روسيا . و بتأثير القيصرة رفض جميع مطالب الالمان . ولم يبق عنده شيء يضحيه غير نفسه فضحاها عن طيبة خاطر وكانت هذه التضحية في نظره أمجد من مصالحة اولئك الذين خنقوا روسيا وسلبوا شرفها . جاء الموت ـ ولكنه لم يستطع التفريق بين أولئك الذين ربطتهم المحبة الشديدة بل جمع بين أولئك السبعة الذين اتحدوا بالايمان الذي لا يغلب وبالمحبة الوثيقة العرى التي لا تتزعزع

اني أعترف على رؤوس الاشهاد ان الحوادث تحدث عن نفسها وان ما رويته قليل من كثير مما كان يجب أن يقال والحق أقول ان تلك التذكارات المؤلمة والمصائب الساحقة أوثقت لساني وأضاعت شعوري وتركتني حائراً لا أدري ما أقول فجاء وصفي لتلك الحوادث ضعيفاً بالنسبة للحقيقة الراهنة .

غير أني أصرح باعتقادي الراسخ في فؤادي وهو انه من المحال: «أن يذهب دم أولئك الذين وصفتهم هدراً » ولكني لا أدري متى يتم ذلك . أجل بلا ريب سيأتي ذلك اليوم الذي فيه تحاسب تلك الفظاعة الوحشية على دم أهرقته من

الدماء فيهرق فيه دمها الذي يزعج الانسانية ويخيفها . ولكن الانسانية تجد في تذكارات تلك الضحايا قوة لتجديد حياتها

مهما اضطرب الفؤاد ومهما نادى بصوت عالٍ طالباً الانتقام فانه تكون اهانة لهم في ضريحهم ان يفتدى دمهم الطاهر بدم آخر

ظن القيصر والقيصرة انهما يموتان في سبيل الوطن ولكنهما في الحقيقة ماتا عن الانسانية كلها . ان عظمتهما الحقيقية لم تكن بعظمة الملك وجلاله بل كانت في احرازهما اسمى العواطف واجل العواطف الصالحة التي ارتفعا بها تدريجاً . هما اصبحا كاملين بالروح الطاهرة والنفس النزيهة التي لم تسلحهما بالقوى الارضية الزائلة بل سلحتهما بقوة الروح وشدة الايمان التي اتصف بها المسيحيون وقاوموا بها شرور الناس الذين كانوا يضطهدونهم . أولئك المسيحيون المملوءون ايماناً كانوا يبتهجون بالموت وهكذا القيصر والقيصرة فقد ابتهجا بالموت ورقدا بسلام ففي ذمة الله أيتها الارواح الطاهرة وفي جوار ربك أيتها النفوس الزكية أرقدي بسلام وتمتعي بفردوس الجنان حيث لا حزن ولا وجع ولا تعب وحيث لا يستطيع الاشرار يصلوا لاذى اليك .

بطرس جبّار

صلاة الغرندوقة اولغا

نظمت الغرندوقة أولغا إحدى كريمات القيصر صلاة بالشعر الروسي وقد عثرت عليها لجنة التحقيق التي ائمأت تحت رئاسة الجنرال ديديريخس وقد نشرها كاظم بك أحد أعضاء تلك اللجنة ورئيس نيابة يكاتيرينبورج في أمريكا بجريدة سفيت وقد ترجمتها عن الروسية ترجمة حرفية وأطلعت عليها حضرة أستاذنا الكبير شاعر القطرين خليل بك مطران فتكرم ـ رفع الله به شأن الأدب ـ ونظمها شعراً عربياً زينا بها جيد هذا الكتاب وها هي :

أولنا يا إلهنا حسن صبرٍ حين بتنا وشعبنا عادينا

وتوالت سود الرزايا علينا نتحمل عذاب جلادينا

***

أيها العادل الكريم امنحنَّا قوة نغتفر ذنوب القريب

وانقم ـ والسرور خفّ بنا لارواح ـ أجسامنا مع الصليب

***

عند ما يقبض الأعادي علينا ويسوموننا أذى الاضطهاد

هوّن العار والبلاء علينا وأعن أيها المسيح الفادي

***

سيدَ الخلق مالكَ الملك بارك محسنًا في سجودنا والصلاة

وهبِ الانفس الوديعة روحًا منك في كرب هذه الساعات

***

وبباب الضريح يارب زدنا قوّة فوق قوة الانسان

نلتمس منك رحمة لأعادٍ أوردونا حوض الردى في هوان

كتاب مفتوح

﴿ مرفوع من الأمة الروسية ﴾

الي المسيو

بطرس جيار

جميع الروسيين الذين يحفظون في قلوبهم الذكرى الحسنة للقيصر نقولا الثاني يعترفون بفضلك وعملك المجيد لأنك أرسلت أشعة نور الحقيقة على أيام القيصر وعائلته الاخيرة .

أنت أول رجل بعد موت أولئك الذين انقضّت على رؤوسهم الاهانات ووصموا بجميع النقائص والعيوب ونُسبت اليهم أفظع التهم وأشنعها — أولئك الذين نسيهم كل أصدقائهم والمخلصين اليهم وطرحتهم الاقدار بين أيدي قوم سفاكين — بين أيدي رجال هم أقرب الى الوحوش الضارية منهم الي الناس . أجل أنت أول رجل جاهر على رؤوس الاشهاد بالحقيقة الناصعة وأمطت النقاب عن أعمال أولئك القساة الاشرار وأظهرت للملأ عظمة نفس القيصر الشهيد وأفراد عائلته البررة الاطهار . أنت نصير الحق وعضد الصدق . والحق في كل زمان ومكان لا يعدم أنصاراً يرفعون مناره ويقدسون شعاره أنت في كل ما كتبت حاولت اخفاء شخصيتك البارزة مع أن كل سطر سطرته يدل دلالة واضحة على طهارة نفسك وجودة عنصرك وطيب محتدك . أنت عنوان الشرف الرفيع والمثل الاعلى للاخلاق الكريمة لأنك مع تعلقك الشديد بالعائلة القيصرية لم تسخط على الشعب الروسي الذي تركها وشأنها تقاسي أشد الآلام . انك لعلى خلق عظيم حيث لم تصدر من فمك كلمة ملام لأحد في أشد ساعات الضيق التي يضيق فيها صدر الكريم . أنت رحمت قلوب الروسيين المنكسرة — تلك القلوب التي مازالت تحفظ الحب للقيصر وتنتفض لدى ذكراه كعصفور

بلاد القطر . نحن الروسيون أصبحنا عبيداً للسياسة القاسية الشديدة الوطأة فلم يجسر واحد منا على التصريح بالحق واظهار عواطفه ولهذا فان عملك عظيم ثمين في نظرنا .

ان معظم الشعب الروسي لا يريد تصديق ما حدث في ايكاتيرينبورج لأنه شعب طيب القلب لا يحب سفك الدماء ولا يخطر على باله امكان قتل النفوس بمثل تلك القساوة الوحشية . وبما فطر عليه من سمو الاخلاق السلافية المعروفة كان يحاول الاعتقاد بأن ذلك اشاعات باطلة . ولكن قد زال الشك الآن ولذلك فاننا بكل جرأة نقول :

« ان قتل القيصر وعائلته الذي لا مثيل له في التاريخ قد تم على صدر الشعب الروسي » ان كل روسي تهتز اعصابه جزعاً لدى مطالعة كتابكم ويشعر بأن سهماً من نار يخترق نفسه وقلبه .

ان خدمتكم عظيمة أمام التاريخ لأن هلاك القيصر وأفراد عائلته بمثل تلك الفظاعة الوحشية مما يجب تسطيره ليكون مادة حقيقية صادقة للمؤرخين في المستقبل.

ان أسماء الاشخاص الذين أظهروا تلك الفظاعة الذين عميت أبصارهم ومثلوا تلك المأساة الدموية التي تقشعر لدى ذكرها الاجساد ستسدل الايام عليها حجاباً كثيفاً ولكن اسم القيصر نقولا الثاني الشجاع الذي قدم نفسه ضحية عن وطنه سيخلد الى الابد ويخلد معه اسم المؤرخ الاول الصادق .

ان الشعب الروسي سيعتريه الخجل لأن أبناءه العمي الضالين دعوا القيصر : « نقولا الدموي » ذلك الرجل الطيب اللطيف التقي المعروف بصفات قلما يتصف بها انسان . سيعلم الشعب ولا ينسى ان الذين حاولوا الحط من كرامة القيصر قد رفعوه الى أوج المجد والفخر ولم يضعوا على رأسه تاجاً ملوكيا رمز السلطة الارضية الزائلة بل وضعوا على رأسه تاج الشهادة الخالدة ذلك التاج الذي قبله القيصر بعظمة ومحبة وتواضع

والقيصر ليس في حاجة الآن الى الاجلال والتعظيم بل في حاجة الى ارتفاع الصلوات من قلوب الروسيين لأجله . ان الشعب الروسي يستطيع بواسطة الصلوات

الحسارة الصاعدة من أفئدته أن يمحو عن صدره بقعة الدم التي لطخه بها أولئك الرجال الذين اغتصبوا الحكم واهرقوا في سبيله الدماء الزكية .

مهما آل اليه أمر الاحكام في روسيا ومهما اختار الشعب لنفسه من أنواع الحكومات يجب على كل روسي حر أن يحفظ الصلاة الآتية و يرددها في الصباح والمساء وهي : « ليمنح الله القادر عبده الشهيد نقولا ملكوت السموات وليخلد ذكره الى الأبد »

الشعب الروسي

خطاب مفتوح

من مسيحي الشرق

الى المسيو

بطرس جيار

المؤرخ الصادق الحر مصباح وهاج يضيء الحقائق و يبدد غياهب البهتان و يزيل ما علق بالاذهان من الاخبار الملفقة والافتراءات المخزية التي يختلقها الافاكون الافاقيون الذين ماتت ضمائرهم فباعوا ذمتهم بدراهم معدودة وسجلوا على نفوسهم العار والشنار الى أبد الآباد

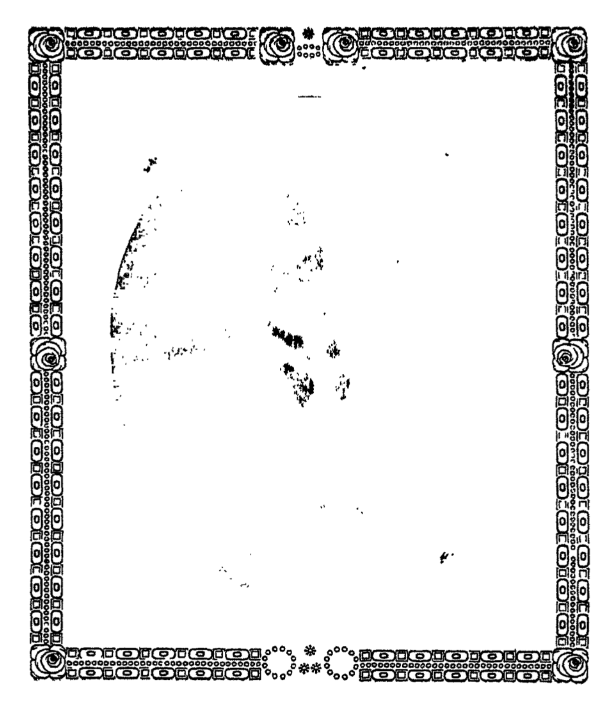
سلات براعك الصادق الحر وسطرت به تلك الحقائق الباهرة التي أزالت غشاء البهتان المموهة به تلك الفريات والتهم الباطلة التي ألصقها أولئك القوم الانذال المنافقون بالقيصر وأسرته أولئك الذين صدقت عليهم الآية القرآنية الكريمة « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم » . أجل ان أعصاب المسيحيين في الشرق اهتزت فزعاً وجزعاً لدى مطالعتهم تلك الاخبار التي لا ينطق بها الا كل سافل وغد لا عرض له ولا شرف ولما وقفنا

على كتابك أيها المؤرخ المفضال زالت من قلوبنا سحب الهموم وقد فرّجت كربنا وشرحت صدورنا

ان العالم المسيحي الشرقي مرتبط بقياصرة الروس بتذكارات مرسومة على القلوب لا يمحوها توالي الاعوام وكرور الايام . أولئك القياصرة الامجاد شنوا الحروب وأهرقوا الدماء في سبيل حماية مسيحيي الشرق و بذلوا النفس والنفيس لتوفير أسباب راحتهم وطما نينتهم وأنفقوا القناطير المقنطرة من الاموال على انشاء المدارس وتأسيس الكنائس والمستشفيات والملاجئ . رفع أولئك القياصرة رأس مسيحيي الشرق وجعلوهم يعيشون عيشة الناس بعد أن كانوا أذلاء معرضين في كل آونة للامتهان وانقضاض صواعق السخط على رؤوسهم . قال المرحوم الطيب الذكر المطران يوسف الدبس من خطبة خطبها في بكركي من أعمال لبنان : « لولا روسيا لما استطاع كاهن في سوريا وفلسطين أن يضع على رأسه قلنسوة ولولاها ما استطاع المسيحيون تعليق جرس في كنائسهم أو حمل صليب أمام جنازات أمواتهم »

كل هذه الاسباب أبقت في قلوب المسيحيين ذكرى حسنة لأولئك القياصرة؛ والانسان الحقيقي يحفظ الجميل لصانعه و يذكره به ما دام فيه عرق ينبض . لذلك فانهم يصوغون عقود الشكر والامتنان للمسيو بطرس جيار الذي دافع عن القيصر نقولا الثاني وأفراد أسرته وكذب ما نسب اليهم من التهم الباطلة وأظهر ما كانوا عليه من التقوى والسيرة الطاهرة النزيهة فلك منا الشكر الجزيل على ما صرحت به من الحقائق وعلى ما اتصفت به من صفات الشهامة والمروءة . أنت نصير الصدق . ومؤيد الحق والحق لا يعدم أنصاراً يرفعون شعاره و يعلون مناره .

مسيحيو الشرق



سليم قبعين

Mr. SELIM COBEIN

نهاية البلشفيك

تاريخ روسيا القديم والحديث مملوء بالحوادث الجسام والكوارث العظام فقد احتل التتر روسيا نحو ٢١٠ أعوام وأخضعوا أمراءها السلطتهم ووضعوا عليها الضرائب الفادحة وساموهم صنوف الذل والهوان فقام اليكسندرنفسكي منقذ روسيا الذي حارب التتر وأنقذ روسيا من سلطانهم ومنحها الحرية التامة والاستقلال بعد أن رسفت الاعوام الطوال في أغلال الاستعباد ومن تتبع تاريخ تلك الامة رأى فيه من أمثال هذه الحوادث شيئاً كثيراً وكان في كل مرة يقيّض الله لها رجالا مخلصين من أبنائها يلتهبون غيرة على وطنهم ومواطنيهم ويجيشون الجيوش ويجمعون الجموع ويشنون الغارات على الاعداء ويطردونهم من البلاد طرداً شنيعاً

وعند ما نشبت الحرب الضروس الماضية وقامت فيها روسيا بأعمال أدهشت العالم وكادت تقضي على الالمان وحلفائهم ومن يعرف أفعال القائد بروسيلوف وهجماته على النمسويين وأسره منهم مئات الالوف يعرف الدور العظيم الذي لعبته روسيا في تلك الحرب وقد أيقن الالمان انه اذا لبثت روسيا موالية لحلفائها فانه محال عليها أن تنتصر على أعدائها فبذلت وسعها لاجتذاب القيصر قولا الثاني اليها أو لتعقد معه صلحاً انفرادياً فلم تفلح لأن القيصر أبى أن يرجع عن كلمته وهو ذلك الرجل العظيم الذي قال عنه بطرس جيار انه كان عبداً لكلمته وفوق هذا وذاك فانه كان يعلم ما هم عليه الالمان من الخبث والمكر والخداع والتقلب في السياسة بما تقتضيه مصلحتهم

ولا عجب في ذلك فانهم في خلال الحرب داسوا على المعاهدات ونقضوا كل قوانين الحرب العامة الدولية واعتبروها قصاصات ورق لا قيمة لها فبذلوا وسعهم لاضرام نار الثورة في روسيا وأنفقوا ملايين الجنيهات في هذا السبيل وتم لهم ما أرادوا من قلب الحكومة الروسية وقيام دولة البلشفيك محلها

وقد حارب الكثيرون لدى حدوث الانقلاب الروسي العظيم وقالوا ان البلشفيك

سيقيمون على أنقاض الحكومة الروسية السابقة دولة عزيزة الاركان منيعة البنيان يسود فيها العدل والحرية والاخاء والمساواة ولقد أخطأ هؤلاء الناس في نظرهم الفاسدة لجهلهم أقطاب الباشفيك وما كانوا عليه من خمول الذكر وقد جاءت الحوادث مصداقاً لأصحاب النظر الثاقب الذين قالوا

لا يصلح القوم فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

فان البلشفيك نهبوا البلاد وأذلوا العباد فضربت المجاعة أطنابها في جميع جهاتها وأصبحت روسيا أثراً بعد عين

وقد أثبتت الحوادث على أن كل شيء مبني على الفساد فهو فاسد لذلك أقول ان دولة الباشفيك قد أصبحت في دور الانحلال وسيقيض الله لروسيا رجالا من صميم أبنائها يضعون حداً لمصائبها ويعيدون لها مجدها السابق .

ومن الادلة الساطعة على ذلك ما روته جريدة المورنن بوست في ١٥ يونيو وهو أن اليهود يتدفقون على حدود لتفيا هرباً من روسيا لعلمهم ان نهاية الباشفيك دنت وانه ستحدث مذابح في طول روسيا وعرضها لم يسبق لها مثيل وانهم يهربون حفظاً لحياتهم وقد وصل الى القاهرة من روسيا رجل يهودي قال لي ان نهاية الباشفيك أصبحت قاب قوسين أو أدنى فان السخط في جميع أنحاء روسيا يتصاعد ضدهم .

وقالت جريدة رابوتنيك التي تصدر في موسكو بتاريخ ١١ يونيو الماضي ان الثورات تزداد يوماً عن يوم ضد البلشفيك وان العداء لهم سرى الى الفلاحين والقوزاق وان كثيرين من الجنود الحمر يفرون من الجيش تباعاً

وروت جريدة قافكاسكيا فيدوموستي ان الجنرال انطونوف جمع حوله جيشاً كبيراً لمحاربة البلشفيك وكثيرون من الجنود الحمر ينضمون تحت لوائه وأصبح عنده ١٧ فرقة من المشاة و٦ آلاف فارس و٧٢ مدفعاً خفيفاً و٤ مدافع ثقيلة وطيارة واحدة وفرقتان من المهندسين وهذا الجيش يزداد قوة يوماً عن يوم بما يتدفق اليه من

المتطوعين من جميع الأنحاء ودلائل عديدة تدل على أن نهاية البلشفيك قد دنت فان هذه الفئة الضالة لا تستطيع الثبات والعالم كله أصبح ضدها ابتداء من فرنسا وانكلترا وايطاليا وأميركا وغيرها وقامت صحف العالم تذكر مساوىء البلشفيك ونظائمهم

وقالت الطان ان المسيو أتيلو بريز زار اودسا وألقى في ٢ يونيو محاضرة وصف بها ما شاهده فيها قال :

عند ما رست باخرتنا في ميناء أودسا رأينا طلائع الجياع وقد تألبوا حولها وهم لو مُثّل اليأس لما مثل الا بهم وكانوا يحاولون الاقتراب من السفينة فتبعدهم عنها حراب جنود الجيش الاحمر وقد كثر عويلهم وانتحابهم حتى أسالوا الدموع من عيوننا وقد قذف بعضنا اليهم بقطع من الخبز فكانوا يتقاتلون على التقاطها حتى وعد أحد الزعماء البلشفيين السفينة باخراجها من الميناء اذا أصر ركابها على مايفعلون من القاء الخبز وقال انهم ليسوا جياعاً وانهم يأكلون فوق ما يجب ولكنها عادة قبيحة تمكنت منهم

وقال في موضع آخر من محاضرته انه بعد مفاوضة دامت يومين أذنوا لنا بالصعود الى المدينة بشرط أن يدفع كل من أراد دخولها عشرة ملايين روبل فدفعنا الرسم ودخلناها جماعات واجتزنا شوارعها الطويلة فرأينا قصوراً فخمة تدل على عظمة أوربا ولكنها كلها خاوية خالية وقد تحطم الزجاج في أدوارها السفلى وترا كمت الاقذار في طرقها ورأينا جثة رجل مسندة الى جدار ثم توغلنا في المدينة فرأينا كثيراً من جثث الخيل وقد تألبت حولها الكلاب الجائعة تنهشها وتصاعدت منها روائح كريهة لا تطاق وكان ذلك عند باب الاوبرا ثم قال والحالة في روسيا شديدة الابهام والكل ينتظرون الموت من ساعة لأخرى أو ينتظرون منقذاً ينقذهم من تلك الحالة الشنعاء

فهرست الكتاب